وزارة التعليـــم العالـــي و البحـــث العلمـــي
جامعـــة محمد خيضر- بسكرة-
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

عنوان المذكـــــرة

العلامة الخُضر حسين و فكره الإصلاحي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التخصص التاريخ المعاصر

إعداد الطالـب:
➢ نسيم مريجة

الأستاذة المشرفة:
شهرزاد شلبي

الموسم الجامعي 2012/2013

""مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ

وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ""

صدق الله العظيم
سورة الأحزاب الآية 23

إهداء

إلى الذين أناروا هذه الأمة بالروح العلم وزرعوا بذور الحرية والمساواة والعدل والإخاء و الرأي السديد بفكرهم الإصلاحي وبذلوا دمائهم وأموالهم في رفع راية الحق.

إن الأمة العظيمة هي التي تقدر أبناءها الذين بذلوا من اجلها الغالي من اجل عزتها وكرامتها وحريتها والتعريف برجالاتها وتخليد مآثرهم.

شكر وعرفان

قد يقف المرء عاجزا على رد الجميل لذوي الفضل، وقد لا تطاوعه أساليب التعبير ليعبر عن معاني الشكر والتقدير، الشكر لله أولا وأخيرا وفي باب قول رسول صلى الله عليه وسلم

*** من لا يشكر الناس لا يشكر الله ***

أتوجه بالشكر الجزيل ووافر الامتنان والعرفان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد للإنجاز هذا العمل المتواضع واخص بالذكر الأستاذة المشرفة شلبي شهرزاد التي كانت لي سبيلا ومرشدا ونورا أنار طريقي للآخر لحظة من انجاز هذه المذكرة.

والى جميع أساتذة قسم التاريخ جامعة بسكـــــــرة.

تحية شكـــــر وتقـــــدير وارجـــــوا من المولى إن تجزيـــــــــــــهم عني أحسن الجـــزاء.

مقدمة

تاريخنا الإسلامي حافل برجال بذلوا النفس والنفيس من أجل خدمة العلم ورفع مقام هذه الأمة والحفاظ على مقومات شخصيتها ومن أجل بقاءها صامدة أمام طغاة الاستعمار.

وإن الحديث عن سيرة الرجال العظام هي أقل ما يمكن تقديمه تقديرا وعرفانا بما بذلوه لدينهم ووطنهم، ورفعة وسموا بأسمائهم، وإذا كانت مشيخة الأزهر مرتبة ليست بهينة ولا باليسيرة فإن شرف نيلها من طرف الرجال الأفذاذ فخرا للجزائر.

ومن بين هؤلاء الرجال الأفذاذ "**العلامة محمد الخضر حسين الطولقي الجزائري**" فمشيخته للأزهر شرف للجزائر الوطن ولبسكرة الأصل والمنبت على حد سواء، وفي ذلك شرف مضاعف له ولنا وما ذلك إلا دليل على مكانته العلمية والدنية.

فالإمام كان الصورة لوحدة الأمة التي أراد الله أن تكون موحدة إذ حمل علم الجزائر بطولقة ونال علم الزيتونة بتونس فاستحق مشيخة الأزهر.

وهو من العلماء الذين كانت لهم اليد الطولي في إصلاح الفكر الديني والسياسي والاجتماعي، وترسيخ الثقافة العربية وصياغتها للأجيال الصاعدة، هذه الشخصية غز نظيرها، وقل وجودها، فكان – رحمه الله رجلا معلما، ومصلحا له منهجه التنويري في تناول قضايا الفكر الإصلاحي، ومؤلفا مبدعا، وشاعرا مجيدا، وناقدا من طراز رفيع، وكان هواه مع العربية والإسلام لغة وثقافة وعقيدة وسلوكا، فلم يكتف بطرح المسائل اللغوية في محاضراته بل تجاوز ذلك إلى العمل الميداني من خلال الجمعيات الثقافية

ومن خلال العمل المؤسساتي، فقد كان للغة وعاء حضاري ولابد أن تواكب تطور المجتمعات العربية، وهو ممن حرص على حذق اللغة الأجنبية والتفتح على الأخر ومواكبة الواقع المتجدد....فهو في النهاية رجل في رجال وفرد في صيغة مجتمع.

- **<u>دوافع اختيار البحث:</u>**

تمثل هذه الدراسة محطة هامة في تاريخ علم من أعلام منطقة الزيبان، إلا أن دراسة أعلام منطقة الزيبان تكاد تكون منعدمة لدى الكثير من الباحثين والطلبة، وهذا يرجع إلى قلة اهتمام الباحثين بهؤلاء الأعلام وعدم إعطاء الباحثين لها ما تستحق من دراسة.

وهذا ما سبب نقصا في المراجع حول الموضوع باستثناء بعض الكتابات الشحيحة والنادرة، ولعل هذا ما دفعني لتسليط الضوء حول جوانب من هذه الشخصية الفذة وإعطائها ولو الجزء القليل من قيمتها الكبيرة .

كما أن علماء منطقة الزيبان جديرون بدراسة نظرا لدورهم الإصلاحي وفكرهم السديد في تنوير العقول.

ولم يكن هدفي هو التحيز إلى علم من أعلام منطقة الزيبان، بل أعمال وفكر العلامة الخضر حسين هي التي دفعتني لإبرازها، وإنما اختياري لهذه الشخصية الفذة نظرا لما تتميز بعلم وافر وغزير ورأي سديد في تنوير العقول وإخراج هذه الأمة من الجهل والظلم إلى الحرية والاستقلال.

الاشكالية

إن هذا البحث يتعرض لتاريخ علم من الأعلام منطقة الزيبان "**الخضر حسين**" والتي ما زالت جوانب من حياته وفكره مجهولة عند بعض الدارسين وعليه سنحاول معرفة جوانب من هذه الشخصية وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

- **فهل يعد الخضر حسين مفكرا مغربيا إسلاميا أم وطنيا مكافحا، أم مصلحا أم قاضيا؟ وكل هذه الصفات كان من عمادها وعمل لها بإخلاص.**
- **وكيف ساهم الخضر حسين بفكره الإصلاحي في تنوير الشعوب ضد الاستعمار؟**

منهج البحث

نظرا لطبيعة الموضوع ومن أجل الوصول إلى الهدف المنشود

والإجابة عن هذه التساؤلات والإلمام بجوانب الموضوع، اعتمدت على بعض المناهج، أذكر منها:

1- **المنهج التحليلي النقدي:** وذلك بتحليل بعض الحقائق قدر الإمكان أو نقد بعض ما قيل عنها، واعتمادا على مصادر أخرى، إضافة إلى ربطهما بمسبباتها والتعريف على تطوراتها.

2- **المنهج الوصفي:** في سرد الأحداث بطريقة وصفية كرونولوجية في محاولة لدراسة الأحداث التاريخية بالتسلسل.

دراسة المراجع

أما المراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث فيمكن تصنيفها من حيث الأهمية كما يلي:

- محتوى أرشيف الزاوية العثمانية: الذي يعتبر من أهم مصادر البحث وقد تم الاعتماد عليه بشكل كبير في دراسة أوضاع المنطقة قبل ميلاد العلامة الخضر حسين (الوضعية الاجتماعية والثقافية في منطقة الزيبان).

أما الوثائق التي حظيت بالدراسة: فتمثلت في جذور أسرة الزاوية العثمانية (علي بن عمر) باعتبار أن هذه الزاوية هي امتداد لزاوية الرحمانية الخلوتية ويرجع نسب هذه الزاوية إلى الأدارسة بالمغرب وإلى الرسول عليه الصلاة والسلام .

- محتوى أرشيف زاوية برج بن عزوز: والذي يعتمد من أهم مصادر البحث وقد تم الاعتماد عليه في دراسة نسب العلامة الخضر حسين من جهة، جده إلى الأم الولي الصالح مصطفى بن عزوز مؤسس الزاوية الرحمانية "بنفطة" بالجريد التونسي.
- محتوى أرشيف الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية بمنطقة الزيبان: وذلك من خلال دراسة بعض كتب ومقالات العلامة الخضر حسين التي حققها ابن أخيه علي الرضا الحسني منها:
  - مجلة السعادة العظمى.
  - مجلة لواء الإسلام.
  - مجلة الهداية الإسلامية.
  - كتاب في رحاب الأزهر.

واعتمدت في الدراسة على بعض المراجع من بينها :

- موسوعة الأعمال الكاملة للأمام محمد الخضر حسين والتي حققها ابن أخيه علي الرضا الحسيني والتي تعتبر من المراجع الهامة التي لا يستغني عنها الباحث في دراسة تاريخ وحياة العلامة الخضر حسين تتكون هذه الموسوعة من اثني عشر مجلدا من المجلد الأول وتعرض إلى ميلاده وحياته إلى غاية المجلد الثاني عشر إلى وفاته وأهم آثاره وقد اعتمد صاحب هذه الموسوعة على بعض الوثائق الأرشيفية.
- كما اعتمدت على بعض كتابات الأمام الخضر حسين منها : "مجلة السعادة العظمى" مجلة لواء الإسلام" ومجلة نور الإسلام" وبعض الكتب من بينها "الحرية في الإسلام" وأيضا "في رحاب الأزهر" وأيضا "من أقوال الأمام محمد الخضر حسين" التي حققها

علي الرضا الحسيني وأيضا كتاب الدكتور محمد مواعده "الخضر حسين حياته وآثاره"

- كما اعتمدت في الدراسة أيضا على مجلة الجمعية الخلدونية التي نظمت ملتقى حول العلامة الخضر حسين في العدد الثامن سنة 2010 حول العلامة الخضر حسين بحضور أساتذة من تونس ومصر والجزائر وتكمن أهمية هذه المجلة في احتوائها على بعض المقالات وأفكار العلامة الخضر حسين.
- هذا بالإضافة إلى اعتمادي على مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أو مجلة المجمع العلمي العربي سابقا وهي مجلة محكمة فصلية الجزء الرابع من المجلد الرابع وكما تبين الصادر سنة 2009 وهذه المجلة تعني لمقالات التي يصدرها الخضر حسين عند انضمامه إلى مجمع اللغة العربية بدمشق.

كما اعتمدت على بعض الملتقيات الوطنية والدولية التي لها علاقة بالموضوع.

- **صعوبات البحث**

أما الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث فيعرفها كل من عنى بدراسة أعلام منطقة الزيبان فالبحث في تاريخ أعلام منطقة الزيبان لم يكن سهلا وميسورا للأسباب التالية:

- قلة المراجع التاريخية التي تطرقت إلى أعلام منطقة الزيبان وشحها وكل ما وجد منها لا يعدو إلا إشارات مقتضبة وردت في دراسات عامة أو في مقالات وهذه القلة اضطرتني لقبولها بعد إخضاعها لعملية التمحيص.
- إضافة إلى التضارب في المعلومات في هذه المراجع واختلاف في التواريخ مما صعب في كثيرا من الأحيان عملية التخلص من ظاهرة التكرار.
- إن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة أوسع خاصة وإن الدراسات في أعلام منطقة الزيبان مازالت محل تنقيب عند بعض الباحثين.

ولكن الرغبة في إخراج تاريخ علامة من علماء بسكرة إلى الوجود جعلني أقوم بهذا المجهود المتواضع لعلي أستطيع تنوير الدارسين والمهتمين ولو بشكل يسير للتاريخ المحلي لمنطقة الزيبان.

خطة البحث

قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول: بالإضافة إلى تمهيد وخاتمة ، فقد تناولت في التمهيد بأن تاريخنا الإسلامي حافل بعلماء أفذاذ على غرار المحدثة أم الحياة البسكرية وعبد المجيد حبة لمع بارق من بوارق الرجال الأفذاذ العلامة الخضر حسين الطولقي الجزائري التي كانت له اليد الطولي في تنوير العقول.

-**الفصل الأول:** فتطرقت إلى أوضاع الزيبان و نفطة التونسية قبل ميلاد العلامة الخضر حسين متحدث عن الموقع الجغرافي الاستراتيجي لمنطقة الزيبان وإبراز خصائصها وبما تتميز وتشتهر به هذه المنطقة ثم تطرقت إلى الوضع الثقافي إبان تلك الفترة وكيف لعبت الزاوية العثمانية وزاوية برج بن عزوز في إيواء المجاهدين الفارين من يد الاستعمار الفرنسي وما هي الظروف التي هاجر فيها مصطفى بن عزوز من برج بن عزوز إلى بلاد "نفطة" بالجريد التونسي آخذا معه "الحسين بن علي بن عمر " أحد طلبته والذي ينحدر من الزاوية العثمانية بطولقة وهذه الهجرة كانت من أجل الحفاظ على الدين الإسلامي من جبروت الاستعمار الفرنسي وهناك ببلاد الجريد أسس زاوية كانت لها الفضل في بروز "العلامة الخضر حسين" ابن الحسن بن علي بن محمد وحليمة السعدية بنت الولي الصالح مصطفى بن عزوز، ثم تطرقت إلى الأوضاع السياسية لبلاد الجريد وخاصة "ثورة ابن غذاهم" وكيف لعب مصطفى بن عزوز دورا فاعلا فيها نظرا لمكانته القوية في أوساط منطقة الجريد التونسي.

-**الفصل الثاني:** فتطرقت إلى حياة العلامة محمد الخضر حسين وآثاره فتحدثت عن مراحل حياته التي قسمتها إلى ثلاث مراحل:

1-المرحلة التونسية: والتي امتدت أربعين سنة من ولايته لمدينة نفطة بالجريد التونسي من ميلاده سنة 1873 وهجرته النهائية إلى المشرق العربي سنة 1912م.

2-المرحلة السورية: والتي امتدت طيلة ثمانية سنوات من 1912م إلى غاية 1920م.

3-المرحلة المصرية: التي امتدت ما يقارب 38 سنة من 1920م إلى غاية 1958م.

وكل مرحلة من هذه المراحل تطرقت بالتفصيل عن الأحداث التي شهدتها من ميلاده إلى غاية وفاته مع ذكر أهم أثاره.

-**الفصل الثالث:** فتطرقت إلى فكرة الإصلاحي وكيف ساهم الخضر حسين في تنوير العقول لمناهضة الاستعمار الفرنسي في بعض الميادين ففي الميدان السياسي وذلك من خلال إبراز مواقفه من بعض القضايا الدولية كالقضية الفلسطينية ودعم ألمانيا الغربية لإسرائيل ضد الفلسطينيين ورافضا الغزو الايطالي على ليبيا ولا بد من مساعدة الشعب الليبي من أجل القضاء والصمود أمام الايطاليين ولابد من تلاحم الشعب والوطن العربي للاحتلال الفرنسي للجزائر و نادى الخضر حسين بالحرية ورفض الاستعمار كما نادى الخضر حسين شباب الوطن العربي بعدم المشاركة مع القوات الفرنسية أثناء حروبها الأوربية للآن هذا الأمر لا يعنيهم.

أما في الميدان الاجتماعي حاول الخضر حسين إلى إصلاح المجتمع من خلال أفكاره التي تدعوا إلى المساواة والعدل والحق والإخاء والتعاون ومحاربة الرشوة والآفات الاجتماعية التي انتشرت في المجتمع وهذا من أجل بناء مجتمع متكامل على أسس دينية متينة.

أما في الميدان الثقافي فقد زود الخضر حسين المكاتب العربية بالعديد من الكتب والمجلات وهذا للإحياء الثقافة العربية الخاصة من فيها "مجلة السعادة العظمة " مجلة لواء الإسلام" ومجلة "الهداية الإسلامية" ونور الإسلام" وكتبه القيمة "القياس في اللغة العربية" و"في رحاب الأزهر" و "الحرية في الإسلام" وأيضا "الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان " وكل هذه الكتب والمجلات لتثقيف وتنوير الأمة العربية الإسلامية بمواضعها (الاجتماعية والدينية والسياسية).

وانتهت دراستي بخاتمة والتي كانت عبارة عن حوصلة للنتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

وفي ختام هذه المقدمة أرى من الوفاء لي ولهذه الدراسة توجيه الشكر والتقدير والامتنان للأستاذة شلبي شهرزاد التي سددت خطاي في هذا البحث ولم تبخل علي بفيض علمها، ولا بإثراء المنهج بتوجيهاتها القويمة وبفضلها خرج هذا البحث إلى الوجود.

الفصل الأول
أوضاع منطقة الزيبان و نفطة التونسية قبل ميلاده

المبحث الأول: أوضاع منطقة الزيبان قبل ميلاده.

المبحث الثاني: أوضاع منطقة نفطة التونسية قبل ميلاده.

المبحث الأول : أوضاع منطقة الزيبان قبل ميلاده

المطلب الأول : الجانب الجغرافي لمنطقة الزيبان

تقع بسكرة في المنطقة الشرقية بين التل والصحراء، وتأخذ مكانا لا يستهان به في السفوح الأوراسية وذالك على خطي خمسة درجة شرق خط غرينتش ودائرتي عرض 34.5° درجة شمال خط الاستواء.

كما تتمتع المنطقة بشتاء معتدل حيث لا تقل معدل الحرارة من شهر جانفي 11 درجة أثناء النهار غير أن صيفها شديد الحرارة حيث تزيد الحرارة في كثير من الأحيان إلى 40و45° ومناخها جاف خال من الرطوبة لاسيما في فصل الصيف.

أما الأمطار فهي قليلة غير منتظمة غالبا ما يقل معدلها عن 200 ملم في السنة ويعتمد فيها السقي (الري) على الوديان التي تنصب من الأوراس والمناطق الجبلية القريبة مثل" وادي الجدي" الذي ينطلق من جبل مسعد بالقرب من الأغواط ثم يشق كامل الزيبان ليصب في شط ملغيغ.

ويأتيها من الجنوب وادي ريغ الذي ينطلق من الجبال والهضاب الصحراوية وبذلك تعتبر حوضا مائيا كبيرا راكدا تحت الرمال[1]

وفي وصف بسكرة يذكرها أبو عبيد الله البكري من أهم الرحال العرب خلال فترة المغرب الإسلامي في كتابه " وصف إفريقيا الشمالية " والذي يقدم لنا صورة صحيحة على ما كانت تكتسيه من أهمية كبرى خلال تلك الفترة وهي كالتالي: هي مدينة كثيرة النخيل، والزيتون وأصناف الثمار وهي مدينة مسورة عليها خندق، وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات و حواليها بساتين كثيرة وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس التمور ...الخ، ثم يقول " وببسكرة علم كثير وأهلها على مذهب أهل المدينة ولها من الأبواب ، باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث. سكنها المولدون وحولها من القبائل البربر سدراتة وبنو مغراوة أهل بيت بني خزر و بنو مزني، داخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة[2]

أما ياقوت الحموي فيصفها في كتابه معجم البلدان، المجلد الأول بأنها بلد بالمغرب الأوسط في نواحي الزاب فيها نخيل وشجر وهي مسورة ذات أسواق وحمامات وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة و بها جبل ملح يقطع منه الصخر و تعرف ببسكرة النخيل.

ومن جهة أشار الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي في وصف بسكرة فيقول " بسكر ة مدينة قديمة تأسست في العصر الذي كان فيه الرومان يحتلون بلاد البربر وبعدئذ تخربت، ثم أعيد بنائها في الزمن

---

[1]_محمد الصغير غانم: **منطقة بسكرة بين الموقع الاستراتيجي والنصوص التاريخية، الجمعية الخلدونية**، ع02، دار الهدى، بسكرة، الجزائر، 2003، ص17.

[2]_محمد الصغير غانم: **المرجع السابق**، ص20.

الذي دخلت فيه الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا، وتبدو اليوم أهلة تماما بالسكان وجدران سورها من الجبس الفتي، تربية السكان فيها طيبة ولكنهم فقراء، لان أراضيها لا تنتج شيئا سوى التمور.[1]

كما يصفها الحسين الورثلاني في كتابه :" نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" لمدينة بسكرة فيقول بأنها :" كثيرة المياه داخل بيوتها فكل شخص عنده ساقية من الماء تجري وهو حلو كالعسل ونخلها عظيم وغلتها كثيرة وتوجد فيها أشجار الزيتون بكثرة...الخ.

ثم يقول غير أن المدينة القديمة خربت وسبب ذلك فتنة بين أهلها فادخلوا الشرك فأهلكوها إلى درجة أن الناس قد خرجوا إلى بساتين فشيدوا بيوتهم هناك منذ ذلك العهد إلى الآن.

وكل هذه المعلومات والنصوص التي سقتها تدعونا إلى القول بأن تاريخ منطقة بسكرة حافل بالأمجاد وهي تبرهن على استراتيجية المنطقة ودورها في الحركة التاريخية لهذا الوطن عبر الأزمنة بداية من ما قبل التاريخ وحتى عهد الصحوة التاريخية المعاصرة التي أوجدتها ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 في هذا الوطن الأبي الذي حررته دماء جحافل الشهداء عبر الفترة الإسلامية العربية، وهو يقدم اليوم مسيرة البناء و التشييد بكل فخر واعتزاز.

فتعاقبت على بسكرة أمم عديدة منذ العصور الحجرية إلى الفتح الإسلامي وعرفت أحداث تاريخية كبرى إلى أن استولى عليها العثمانيون وحكموها بواسطة عائلة بوعكاز[2] في الشمال وأسرة بني جلاب[3] في الجنوب، وبعد الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر في صيف 1830م انتشرت قوات الاحتلال في البلاد للسيطرة والتوسع حتى دخلت مدينة قسنطينة الحملة الثانية يومي 13 و14 اكتوبر1837 وبعد مقاومة عنيفة من طرف

---

[1] _ليون الإفريقي: **وصف إفريقيا**، ج2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1983،ص ص 137،138.

[2] _ عائلة بوعكاز:تنحدر جذورها من بني هلال ،و هي أسرة عريقة في المنطقة ،تميزت بالشرف والشجاعة أشهر زعمائها فرحات بن السعيد و تضم أولاد صاولة و الدواودة. أنظر صالح فركوس: **إدارة المكاتب العربية والإحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد(1844/1971)**، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر، 2006، ص295.

[3] _ فترة حكم بني جلاب لمنطقة الزيبان تمتد من النصف الثاني من القرن 14 ميلادي إلى غاية بداية القرن15 وتنحدر جذور هذه العائلة إلى الأمير بن غانية من بني مرين وقد توجه إلى واد ريغ حيث إتخذها مقرا له. أنظر:

Feraud (ch**) : «Notes Hostorique sur la provincede constantine ,les bendjellab sultans de touggourt . » RA , n°23,Alger ,1879 ,p164.**

كما تعاونت هذه الأسرة مع الإدارة الفرنسية ،حيث راسل السلطان عبد الرحمان شيخ تقرت الحاكم العام الجنرال فوارول (VOIROL) عارضا عليه ولائه ،كما دفع له ضريبة الولاء المقدرة ب20 ألف فرنك أنظر، معاذ عمراني: « **أسرة بني جلاب في منطقة واد ريغ خلال القرنين 19و20 دراسة سياسية و اجتماعية** » رسالة ماجستير ،التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الأمير عبد القادر الجزائر ،2003، ص58.

السكان بقيادة الحاج احمد غير أنهم لم ينتصروا واجبر الحاج احمد باي إلى الفرار من المدينة مع بعض من أقاربه وجزء من جيشه والتجأ إلى الجنوب لجلب الأنصار من بسكرة والصحراء، عن طريق أصهاره من عائلة بن قانة المشهورة والتي كان لها الأثر الكبير في تجند القبائل الصحراوية للاسترجاع مدينة قسنطينة لذلك شكل احمد باي رسالته بجمع الذين خرجوا معه من قسنطينة.

واقترح عليهم التوجه إلى الجنوب للارتكاز به ثم الانطلاق لمحاصرة قسنطينة والتمركز على طريق عنابة لقطع المدد والاتصالات عن العدو، وبذلك يحقق النصر، غير أن خاله بوعزيز بن قانة عارض هذا المشروع ، وأشار عليه بالتوجه إلى الصحراء أولا لمحاربة خصمهم العنيد وعدوهم اللدود فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز وشيخ العرب في الزيبان وطرده منها ثم التوجه بعد ذلك بقوة كبيرة وموحدة لمهاجمة الفرنسيين بقسنطينة.

ولم يستحسن احمد باي هذه النصيحة، إلا انه أرغم على ذلك لكونه لم يشك لحظة واحدة في إخلاص بوعزيز له. وحينما كان احمد باي يستعد للانسحاب نحو الصحراء وفق خطة خاله، اتصل به مبعوث من قبل قائد القوات الفرنسية في معسكره " بأم الأصناب" قدم له رسالة قصيرة تتضمن ما يلي:" تعالوا اطلبوا منا الأمان، واستسلموا سريا، سيبعثكم إلى فرنسا " فأجابه بالرفض، لكن سرعان ما جاءه شخصان آخران بعد ذلك وهما " ابن العطار" من قسنطينة و " الحاج الباي " من عنابة موفودين من قبل نفس القائد وعرضا عليه نفس الاقتراح السابق، فأجابهم بالإيجاب وفضل التوجه إلى بلد إسلامي أو إلى بيت الله ولما سمعه ابن قانة اعترض عليه لأن الباي يريد أن، ولهذا رضخ الباي لرغبة خاله[1]، ورفض العرض الفرنسي واخذ طريقه إلى بسكرة وقد أرسل أمتعته إلى بلد القنطرة ومنها إلى الأوراس بقرية منعة، وعند وصوله إلى بلدة لوطاية والحضنة، علم أن فرحات بن سعيد[1] يلاحقه وقد دعم صفوفه بأولاد عبد النور. ثم قام بهجوم كاسح على مدينة بسكرة ، كأول مواجهة بين الأشقاء والتي استمرت طويلا كصراع جاد[2].

[1] _ إبراهيم مياسي: **إحتلال بسكرة 1844م**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية ،ع02، دار الهدى، بسكرة ،الجزائر، ص ص 37،38. انظر الملحق رقم 06،07،08،09

[2] _ وتنحدر اسرة بن قانة من السلالة الشريفة "الشريف السيد الحاج بن قانة بن على بن سليمان بن عبد العزيز بن محمد بن عمر بن خالد بن يونس بن براهيم بن منصور المكنى بن قانة بن محمد بن عبد الله بن عبد المالك بن العابد بن الحبيب بن احمد بن عيسى ابن يوسف بن عدنان بن يوسف بن محمد بن داود بن عبد الغفار بن عيسى بن عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله بن علي بن عيسى بن داود بن المهدي بن مسعود بن موسى بن عزوز بن عبد العزيز بن جبار بن عمران بن سالم بن عبد الله بن احمد بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء..

وبعد الصراع الحاد بين عائلة بن قانة كعائلة تحكم بسكرة ومحمد الصغير بن احمد بن الحاج قايد بلدة سيدي عقبة الذي ساعده الأمير عبد القادر للقضاء على فرحات بن سعيد الذي يميل إلى السلطات الفرنسية وأبدى محمد الصغير بن احمد بن الحاج ولاءه وأبدى استعداده لخدمة دولة الأمير فعينه الأمير عبد القادر خليفة له على الزيبان ودعمه بكتيبة من الجند لمجابهة الأعداء وقوات بن قانة على الإقليم.

رفض بن قانة (شيخ العرب) تحالف محمد الصغير بن الحاج والأمير عبد القادر واعتبره تمرد عليه فطلب لمساعدة من السلطات الفرنسية بالجنرال " يارغاي ديليه" وهكذا جمع بن قانة قواته المدعمة من القبائل المختلفة بالإضافة إلى الكتائب الفرنسية المدججة بالأسلحة الحديثة الفتاكة وتوجه إلى محمد الصغير داخل سيدي عقبة حتى يرغمه على الاستسلام لكن احمد قاومه مقاومة شديدة مع أنصاره وفشل بن قانة في القضاء على محمد الصغير بن الحاج في القضاء عليه فلجأ إلى كل الوسائل لتشديد الخناق، وذلك بحرمانهم من العنصر الأساسي وهو الماء من اجل إرضاخهم.

وفي هذه الظروف الصعبة حدث أمر مفاجئ غير مجرى الأحداث وهو تخلي احمد بن باي بن شنوف احد قواد الزاب الشرقي على مؤازرة بن قانة وانفصاله عنه ولجوئه إلى جبل " احمر خدو " حيث بدأ يحرض سكان هذه المنطقة وأرسل إلى محمد الصغير بن احمد بن الحاج ليخبره بأنه سيلتحق به ليجاهد بجانبه وبذلك يضع بسكرة تحت حكم الأمير عبد القادر.

لم تستمر سلطة الأمير عبد القادر ببسكرة طويلا فسرعان ما انحصرت قواته عن المنطقة بعد الحملة الفرنسية القوية التي اكتسحت الصحراء.

أما حالة الأمن فقد تدهورت بشكل كبير، حيث عمت الفوضى كل مناطق الزيبان فكثر السطو والاعتداء و قطع النخيل وغير ذلك من الأعمال المريعة والفظيعة فاستنجد "ابن قانة" بالدوق دومال فقام بحملة كبيرة على الصحراء يحطم فيها قوات محمد الصغير بن احمد بن الحاج خليفة الأمير عبد

واصل تسميتهم تعود الى الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ،فكانوا يلتفون علي المنازل و يراقبون السكان .خوفا ردتهم وعندما يسأل عنهم يجاوبون بهذا اللفظ كان وكان . ولكن مع مرور الوقت تغيرت اللهجات ومنطق الألسن .انظر الشارق عبد الله بن محمد :**سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول** ،المطبعة التونسية ،تونس ،1929ص 150

و حسب Féraudفإن جذور عائلة بن قانة تعود إلى "قرية كوكو المتواجدة في جبال جرجرة ،أين كانت تعيش امرأة اسمها قانة (و لهذا أصبح أبناءها و أحفادها يلقبون بن قانة)"وقد انتقلت للعيش بعرش العنانقة وتزوجت برجل من هناك أنظر : Féraud(ch) **:e Sahara de constantine**,op.cit ,pp88,

كما عمل محمود بن قانة في مهنة الحدادة وتعرف من خلالها على أحمد القلي ،هذا الأخير قصده لإصلاح حدائد فرسه فتطورت العلاقة بينهما إلى حد المصاهرة حيث تزوج أحمد القلي بمباركة بنت بن قانة (والدة أحمد باي) أنظر :محمد خير الدين :**مذكرات** ،ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،(ب ت ط)،ص 64 .

القادر[1].وسقطت بسكرة في أيادي الاستعمار الفرنسي إلى غاية ثورة الزعاطشة وانتفاضة أهل بسكرة لردع الاستعمار الفرنسي سنة 1849م .

وعلى نحو بسكرة حوالي خمسة وثلاثون كيلومتر تقع منطقة طولقة هذه المنطقة التي بذلت رجالها ومالها في سبيل إعلاء راية الحق والقضاء على الاستعمار الفرنسي فهذه المنطقة تتميز بعلمائها وزواياها الفذة التي كانت ملاذ كل الفارين من الاستعمار الفرنسي ، واهم هذه الزوايا التي لعبت دورا كبيرا " زاوية علي بن عمر" و " الزاوية العزوزية " فلقد لعبت الطرق الصوفية في المغرب العربي عامة دورا كبيرا في الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية، وقد تعاظم اهتمام القوات الاستعمارية بها و توظيفها والتجسس عليها لقدرة تلك الطرق وتكييف العقول ومقاومة الاستعمار والتأثير المباشر وغير المباشر في الحياة السياسية وتجدر الإشارة إلى ضخامة عدد الوثائق والكتب والمخطوطات والتقارير السرية المتناثرة في الأرشيفات والمكتبات و الرحلات والمذكرات التي دونها الرحالة الأوروبيون اللذين تواترت زياراتهم إلى بلدان المغرب العربي منذ القرن التاسع عشر وأن الذي يحكم على الإسلام الطرقي لم يطلع على تلك الوثائق ولم يتشبع بدراستها دراسة علمية يخل بأدنى شروط البحث العلمي.[2]

وقد درج عدد من الباحثين عند التأريخ لظاهرة الطرق الصوفية على كيل التهم و الشتائم لجميع الطرق وشيوخها منطلقين من قناعات إيديولوجية استظهروها على أبحاثهم وقد وجدنا عند البحث عن دراسات جادة حول مصطفى بن عزوز دراسة و موثقة وعلمية أنجزتها الباحثة الأمريكية جوليا أتلاني سميث وقد وجدنا فيها حقائق ومعلومات مفيدة ساعدتنا على تمثيل إشكاليات في حياة الشيخ مصطفى بن عزوز ونشاطه في كل من الجزائر وتونس. [3]

المطلب الثاني : العائلة العزوزية والشيخ مصطفى بن عزوز

يرتبط الحديث عن الشيخ مصطفى بن عزوز ارتباطا عضويا بالعائلة العزوزية التي يرتفع نسبها إلى الرسول عليه السلام، والشيخ مصطفى بن عزوز المولود في سنة 1803م ابن المربي الشهيد محمد بن عزوز البرجي الإدريسي ينتمي إلى النسب النبوي الشريف ولد في مدينة البرج القريبة من طولقة، وكان هذا الوالد مثال العلم والصفاء و الهداية والصلاح كما وكان له الفضل في نشر الطريقة الرحمانية الخلوتية و بها عظمت مكانته وامتدت شهرته كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد الفاضل بن عاشور.

والطريقة الرحمانية منبثقة عن الطريقة الخلوتية وقد أسسها سراج الدين الخلوتي المتوفى سنة 800هـ، وهي بدورها إحدى فروع الشهرودية، وقد نشر هذه الطريقة بالجزائر محمد بن عبد الرحمان الجرجي الأزهري،

---

[1] _ ابراهيم مياسي ،**المرجع السابق** ،ص 44

[2] _ فتحي القاسمي، **الأسرة العزوزية الشيخ مصطفى بن عزوز، من اعلام بسكرة المعاصرين**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، دار الهدى، بسكرة، الجزائر، 2009، ص17.

[3] _ فتحي القاسمي ،**المرجع السابق**، ص 18.

وقد ترك بعد وفاته 23 خليفة من كبار الشيوخ منهم محمد بن عزوز البرجي والد مصطفى بن عزوز الذي تولي بدوره نشر تلك الطريقة في الجنوب الجزائري وشرقه.

لقد كانت الزاوية العزوزية بالجزائر ملجأ المجاهدين ولكن انتقال الشيخ مصطفى بن عزوز من طولقة (البرج) إلى تونس أملته عوامل كثيرة أهمها ما ذكرته الباحثة الأمريكية جولي سميث وهي تعاظم الضغط الفرنسي في الجزائر خصوصا بعد احتلال بسكرة في ربيع 1844.[1]

دخول دار السلام تحت هيمنة دار الحرب والكفر (يعتبر الفرنسيون الاستعماريون التراب الجزائري ترابا فرنسيا). وقد كان انتصار الجيش الفرنسي على المجاهدين الجزائريين دفعا لهم على الهجرة إلى الجريد التونسي وتم في تلك الفترة إلقاء القبض على شقيق الشيخ مصطفى بن عزوز (أخوه الأكبر) وهو الشيخ حسن بن عزوز سنة1941.

مقتل الشيخ مصطفى بن عزوز والشيخ على بن عمر في إحدى المعارك ضد الاستعمار الفرنسي توافد القيادات الصوفية على الجريد التونسي (الطريق التيجاني *و الطريقة الرحمانية و الطريقة القادرية) وقد كان الجنوب التونسي قلعة لتنظيم حركة سياسية ضد النظام الاستعماري الفرنسي بالجزائر وكانت طريق : سوف الجريد قايس خارجة عن نطاق النفوذ الاستعماري وكان الوافدون على الجريد يجدون حماية من الباي وتعفيهم من دفع الضرائب وهو ما جعل البلاد التونسية ملاذا آمنا للوافدين الجزائريين وأتباع الطرق الصوفية الأمر الذي أثار حفيظة النظام الاستعماري في الجزائري وقنصل فرنسا في تونس. فأعلنوا احتياجهم العلني وامتعاضهم من سياسة البايات المناصرة للوافدين الجزائريين والحامية لهم ومما تجدر ملاحظته استقبال الباي للكثير من أفراد النخبة الجزائرية الدينية والسياسية من ذالك استقبال باي قسنطينة.[2]

وعليه فأوضاع منطقة الزيبان قبل ميلاد الخضر كانت متأججة بين ضغط الاستعمار الفرنسي وممارسته الإجرامية على ثوار هذه المنطقة الذين تميزوا بالصمود القوي أمامه وبين دور الزوايا التي كانت ملجأ للمجاهدين الفارين من قمع الاستعمار الفرنسي وخاصة زاوية مصطفى بن عزوز والزاوية العثمانية التي لعبت دور المدرسة والمحكمة وبيت الله وباتت هذه الزوايا مركزا لتنوير عقول الثوار والمجاهدين لبعض شيوخها. ولكن ضغط السلطات الفرنسية على هذه المنطقة وهذه الزوايا جعل بعض شيوخ هذه الزوايا يهاجرون إلى مناطق حدودية قريبة من اجل الحفاظ على مبادئ الدين الإسلامي من غطرسة الاستعمار الفرنسي ومن بين هؤلاء الشيوخ "مصطفى بن عزوز" مؤسس الزاوية العزوزية في برج بن عزوز.

[1] _ فتحي القاسمي،**المرجع السابق**،ص ص 18 – 19.

[2] _ فتحي القاسمي، **المرجع السابق** ،ص 20 .

المبحث الثاني : الوضع في منطقة نفطة التونسية قبل ميلاده

المطلب الأول : أوضاع الأسرة العزوزية في نفطة

كانت تونس تحت الحماية الفرنسية ولم تكن نفطة التونسية في القرن التاسع عشر ولادتها المتواصلة صعودا وعرضا منذ مطلع القرن الماضي إلى اليوم. ولم تكن هذه النهضة ولا تلك اليقظة نتيجة انتفاضة طارئة أو طفرة مفاجئة بل كانت نتاج تطور طبيعي تعاقب أجيال وثمار بذور زكية تولت أيد كثيرة مخلصة بذورها في تربة الوطن ونفوس أبنائه، ثم سهرت على رعايتها وحمايتها وتبليغ أماناتها لمن يأتي بعدها جيلا بعد جيل.[1]

وليس من شك في انه لن تكون لأي شعب وثبة أو يقظة أو نهضة ما لم يحس أعبائها رجال وهبوا من الذكاء والعلم و الإخلاص ما يؤهلهم لذلك. فمنذ فجر يقظتها وهي تلد الأفذاذ والعباقرة كما تلد الأبطال و النبغاء في كل الميادين ومن بين هؤلاء الأفذاذ الخضر حسين الطولقي الجزائري. ونظرا لتركيز الاستعمار الفرنسي على الجزائر وتخفيف الضغط على تونس هاجر بعض شيوخ الزوايا من الجزائر إلى تونس من اجل الحفاظ ونشر تعاليم الدين الإسلامي وأصبحوا يشكلون خطرا على الفرنسيين في تونس بفضل أفكارهم ومن بين هؤلاء الشيخ المصطفى بن عزوز* هاجر من طولقة (برج بن عزوز) إلى بلاد الجريد في تونس سنة 1844، واستقراره مع أفراد أسرته ومريديه لم يكن هدفه الأسمى معقودا على الهجرة في حد ذاتها وإنما اعتبره أداة تمكنه من توفير المكونات التأسيسية (التنظيمية) والمادية والإيديولوجية من اجل حركة جماعية طويلة النفس.[2]

وقد استطاع تأسيس الزاوية العزوزية في السنة الموالية وكان ممن رافق أم الإمام العلامة محمد الخضر حسين السيدة حليمة السعدية إحدى بنات الشيخ مصطفى بن عزوز وكان لهذه الهجرة دور كبير في تكثيف عدد أنصار الزاوية العزوزية وانعكس ذالك ايجابيا على الحالة التجارية بين الجريد والمناطق الحدودية الجزائرية، وقد صارت مدينة نفطة أو الكوفة الصغرى تظم سنة 1885م ثمانية مئة جامع وزاوية واحتوت مدينة توزر على خمسين مؤسسة دينية أيضا.

لقد كانت الطريقة العزوزية ملاذا آمنا للثوار الجزائريين ومصدر إلجائه موصولة لهم، وقد عمد الشيخ مصطفى بن عزوز إلى بناء المساكن المحيطة بالزاوية وتوفير الإقامة المريحة للآتين إلى الزاوية و

---

[1] _ محمد كرو، **أعلامنا، محمد الحضر حسين شيخ الأزهر سابقا دراسة مختارات**، دار المغرب العربي ،تونس، 1973،ص 6.

* **الطريقة التيجانية:** مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني في قرية تيماسين (قرب توقرت)و قد تولى ابنه حاج علي قيادة الزاوية بعد وفاة والده 1815. أنظر: شهرزاد شلبي: "**ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**"، رسالة ماجستير في تارخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2009/2008، ص28.

[2] _ فتحي القاسمي، **مرجع سابق** ، ص ص20 –21 .

أقام مدرسة لتعليم القرآن و تحفيظه واستقدام جما من الأساتذة والشيوخ المدرسين منهم الشيخ محمد المدني بن عزوز والشيخ أحمد السنوسي (توزر) والشيخ إبراهيم بن خلاق التوزري، لقد كانت تلك الهجرة إلى الجريد مقترنة بثنائية البركة والبارود كما لاحظت الباحثة الأمريكية جوليا سميث.[1]

لقد أسس الشيخ مصطفى بن عزوز* زهاء الخمسين زاوية ومسجد في أرجاء القطر التونسي وانتمى إلى هذه الطريقة الآلاف من الأتباع حتى صارت هذه الطريقة من أهم الطرق المنتشرة في تونس وبلاد المغرب العربي.

ونظرا لدوره المتعاظم الأيالة التونسية تكثفت الرقابة حول أنشطة الشيخ وزاويته خصوصا من قبل القوى الاستعمارية التي كانت متزاحمة للسيطرة على البلاد التونسية وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا، وقد تسلل الرحالة الانجليزي جايمز ريكاردسون (james richardson) إلى الزاوية الرحمانية، ولاحظ فيها حوالي 200 فرد وذكر إن الشيخ مصطفى كان يتولى بنفسه توزيع ما يغذي الحاضرين، ولاحظ قنصل فرنسا بصفاقص جون ماتيي (gen mettei) بمرارة إن الشيخ مصطفى يحظى بحماية كبير من قبل القصر وهو بذلك يشير إلى تعاطف احمد باي مع الشيخ مصطفى.

لقد كان الشيخ يستقبل سيلا من الزوار الجزائريين ومن المتجهون إلى الحج والطلبة واللاجئون السياسيون وتعاظم هذا الدور خصوصا ما ارتبط منه بالسياسة وهي مرتبطة بأحداث خطيرة وقعت في الجزائر.

وقد استقبلت الزاوية سنة 1871 المتمردين بعد ثورة المقراني في شمال قسنطينة ولجأ إلى الزاوية سنة 1871 الشيخ مصطفى بن مبروك الذي فر إلى الجريد بعد ثورة الزيبان.

لقد كانت الزاوية قادرة على توفير الإعانة المالية الموصولة وكانت تؤوي الأسلحة والثوار، و تملك الجمال لنقل الأسلحة مع البضائع ويذكر من تجسس على نشاط الشيخ مصطفى وزاويته وفروعها أن تجارة البارود كانت نافعة، وتذهب الباحثة جوليا سميث إلى اعتبار الشيخ مصطفى بن عزوز أحد تجار الأسلحة ويجمع كل الجواسيس الذين زاروا الزاوية على أهمية الشيخ مصطفى وخطورة ما يقوم به من أعمال هدفها تقويض الوجود الاستعماري في الجزائر.

المطلب الثاني : الشيخ بن عزوز وثورة ابن غذاهم

اندلعت في تونس سنة 1864 ثورة شعبية عارمة قادها شيخ طريقة صوفية يدعى الشيخ علي ابن غذاهم، وكان سبب اندلاعها إقدام محمد الصادق باي على مضاعفة الجباية (من 36 ريالا إلى 72 ريالا) وكان

---

[1] _ فتحي القاسمي، **المرجع السابق**، 2009، ص ص21–22 .

* أسرة مصطفى بن عزوز لعبت ادوارا مختلفة في الحياة اليومية للجزائر و ذلك قبل الاحتلال و خلاله و تنتمي هذه الأسرة إلى الزاوية الرحمانية ببرج بن عزوز و من أشهر عناصرها محمد بن عزوز الذي أخذ الطريقة عن عبد الرحمان باش تارزي ثم المكي بن عزوز الذي نشر الطريقة الرحمانية بتونس. أنظر: فتحي القاسمي، **الأسرة العزوزية الشيخ مصطفى بن عزوز، من أعلام بسكرة المعاصرين**، مرجع سابق، ص17.

الأهالي يعانون من القحط والطاعون والاستبداد وينتقدون فساد السياسيين واستشار الباي وأتباعه بالثورة وإغراق الآيالة التونسية في الديون المتراكمة مما يسر تنامي النفوذ الأجنبي في تونس.

ولما تعاظم أمر الثورة خصوصا من جهة الساحل خشي الباي على سلطته وعمد إلى المناورة فلجأ إلى أهم شخصية طرقية آنذاك في الآيالة وهو الشيخ مصطفى بن عزوز الذي كان يحظى بمزيد من الاحترام والإجلال من قبل الأهالي والقصر، وقد لاحظ الجاسوس الفرنسي الذي زار الزاوية متنكرا وزاعما انه اعتنق الإسلام وتسمى باسم الحاج عبد الحميد باي (كان ذلك سنة 1850) إن " سيدي مصطفى ثري جدا وصديق حميم للجنرال احمد زروق وهو كذلك صديق احمد باي "[1]، وقد كان احمد زروق الأكثر فتكا بالثائرين المتمردين على سلطة الباي في ثورة بن غذاهم وقد قطع رؤوسهم وأرسلها في أكياس للباي باردو. وقد قتل ابن أبي الضياف تلك الوساطة التي أرادها الصادق باي لإيقاف الثورة وحقن الدماء مدعيا عدم نكث العهد والامتناع عن إذاية ابن غذاهم، يقول الشيخ ابن الضياف. " وبلغ الشيخ مصطفى الناس أوامر الباي في الأمان، وإسقاط ما ثقل من الأوامر (الجباية). فانقادوا معه بعد أن عقد الباي يده بيد الشيخ وعاهده على الوفاء بالعهد في أمان الناس ظاهرا أو باطنا، وثق الشيخ بهذا العهد و جرى ما جرى من نقض العهد وقتل ابن غذاهم "

ولا يخفى أن قرار الباي المخاذل وتراجعه قد أملته السياسة وكان القراربين أيادي قناصلة القوى الاستعمارية الأوروبية التي هرعت أساطيلها عند قيام الثورة لتجتاح السواحل التونسية (فرنسا، بريطانيا و ايطاليا ....) ويبدو أن الشيخ تأثر تأثرا عميقا نتيجة هذا القدر، وربما كان لحملة احمد زروق القاسية على أبناء الساحل وتنكيله الوحشي بالشيخ مصطفى بن عزوز من تداعيات تلك الثورة بعد قمعها الوحشي ولم تتنفس الطريقة العزوزية التي كان لها سلطان على الأهالي وعلى الباي نفسه بعد أن تبين لها ضخامة الجرائم التي اقترفها الباي وحاشيته وخصوصا أن نظام محمد الصادق باي كان هشا ومقطع الأوصال.

ربما كان هذا الحدث الخطير في تون وفي حياة الشيخ مصطفى بن عزوز مدخلا لحملة شنها بعض الباحثين المتهافتين لاتهام الشيخ مصطفى وجميع الطرق الصوفية بالانحياز للبايات وتبرير قهرهم والتحالف مع القوى الاستعمارية، ولقد كانت مسيرة الشيخ مصطفى بن عزوز في كل من الجزائر وتونس وعلى امتداد عقود مفعمة بالعمل الدؤوب بالبركة والبارود لمقاومة الاستعمار الوطنيين المطاردين، وكان استقراره في تونس وانتشار الطريقة العزوزية بها مصدر إغناء للروح وتوطيد للأخوة التونسية الجزائرية ودفاع عن الحرية الإسلامية[2].

[1] _ فتحي القاسمي: **مرجع سابق**، ص ص 22-24.

[2] _ فتحي القاسمي: **المرجع السابق**، ص ص 24-26.

الفصل الثاني
مراحل حياة العلامة
محمد الخضر حسين

المبحث الأول: المرحلة التونسية.

المبحث الثاني: المرحلة السورية

المبحث الثالث: المرحلة المصرية

المبحث الأول : المرحلة التونسية

المطلب الأول : اسمه ونسبه

هو محمد الأخضر بن الشيخ بن علي بن عمر الشريف. يرجع نسبه إلى أسرة جزائرية عريقة في الدين والعلم والشرف، إذ تنتمي إلى النسب النبوي الشريف، ويرتفع نسبها إلى الأمراء الأدارسة بالمغرب، كما يعود أصل الأسرة إلى الجنوب الجزائري، إلى بلدة طولقة بالذات، وهي تبعد زهاء الأربعين كيلومتر عن مدينة بسكرة.

وقد أبدل اسمه – فيما بعد –إلى محمد الخضر حسين بناء على اقتراح محمد الطاهر ابن عاشور رفيقه في الدراسة بالزيتونة، والتدريس بها، وصديقه مدى الحياة[1].

من المعلوم أن الجزائر قد مدت المشرق والمغرب العربيين بالكثير من العباقرة والعلماء، أولئك الذين حوصروا في أفكارهم وعقائدهم وحرموا من أداء واجباتهم الإسلامية وأمانتهم العلمية. ومسوا في كرامتهم وحرياتهم، فاتجهوا إلى ديارهم الأخرى في المغرب أو المشرق يدافعون عن الشريعة ، ويدعون إلى الإصلاح وينشرون العلم ، ويجاهدون في سبيل الله من اجل وحدة العرب والمسلمين[2].

ومن بين هؤلاء الجزائريين المهاجرين الشيخ مصطفى بن عزوز جد محمد الخضر لأمه، وقد أسس الشيخ مصطفى في نفطة بالجنوب التونسي عندما هاجر إليها مع عدد كبير من أتباعه سنة 1837م، أسس زاويته المشهورة والتي تنتسب إلى الطريقة الرحمانية، حيث اشتملت على عدد كبير من المساكن لإيواء الواردين عليه من كل صقع، وأحدث بها مدرسته الحافلة، وأنشأ بها بيوتا لسكنى المنقطعين لقراءة القرآن وتعلم العلم، وقد حشد لها العلماء والأعلام من كل جهة، ليدرسوا بها فنون العلم على اختلاف مشاربها.

ومنهم الشيخ الحسين بن علي بن عمر والد الشيخ الخضر، وقد كان من مريدي الشيخ مصطفى بن عزوز ، حيث التحق به إلى بلدة نفطة، وتزوج من ابنته حليمة السعدية[3]

وعلى هذا يكون الشيخ الخضر جزائري الأصل عن طريق أبيه وأمه.

هذه الجذور العائلية لها أهمية كبيرة جدا، فالجذور جزائرية وهي جذور دينية وسياسية في آن واحد ونعني بذلك نشر الثقافة العربية الإسلامية، وإصلاح المجتمع الإسلامي ، ومقاومة الاستعمار الفرنسي، نفس التوجه الذي كان قائما في الجزائر انتقل إلى تونس بالذات إلى مدينة نفطة[1].

---

[1] _ بوذينة محمد: **محمد الخضر حسين حياته وأعماله**، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام، م14، ص 89 .

[2] _ خمار محمد بلقاسم:**عرض مختصر عن حياة الشيخ بن الحسين**، كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين، دار النوادر، سوريا،2010 ،ص178.

[3] _ خمار محمد بلقاسم : **المرجع السابق**: ص 178.179.

المطلب الثاني : مولده ونشأته

في الجنوب التونسي وفي زوايا العلم، حيث الإشعاع الفكري والروحي، وفي واحات النخيل الباسقة، ولد محمد الخضر حسين في بلدة نفطة يوم 26 رجب 1293هـ – 21 جويلية 1973[2] ، حيث نشأ هناك على سلامة الطوية و الصدق ، و ترعرع على مبادئ الورع و التقوى وفي وسط علمي وثقافي هذه البلدة التي أنبتت عددا مباركا من العلماء، حتى و صفوها بالكوفة الصغرى. ويقول ياقوت الحموي في نفطة : مدينة من إفريقية من أعمال الزاب الكبير وأهلها شراة إباضية وهبية متمردون[3]) و إفريقيا إقليم تونس قديما و كأنما توارث أهل نفطة الشراة – و هو العزة و الأنفة من الجور – فنشأ الشيخ على هذا الخلق و حالفه طوال حياته[4].

وفي هذه النشأة الأولى حفظ القران الكريم منذ صغره على يد شيخه عبد الحفيظ اللموشي و ألم بجانب من الأدب و العلوم العربية و الشرعية حيث رضع علومه الأولى من بيته من فكر أمه الراشدة حليمة السعدية ، التي قامت بتدريسه مع إخوته العلوم الدينية و اللغوية حتى أنه أخذ عنها كتاب الكفراوي في النحو و كتاب السفطي في الفقه المالكي

وعن نشأته الأدبية المبكرة في بلدته نراه يقول في هذه الحقبة: (نشأت في بلدة من بلد الجريد في القطر التونسي يقال لها نفطة، وكان الأدب المنظوم والمنثور في هذه البلدة نفحات تهب في مجالس علمائها، وكان حولي من أقاربي وغيرهم من يقول الشعر، فتذوقت طعم الأدب من أول نشأتي وحاولت وأنا في سن الثاني عشر نظم الشعر، وفي هذا العهد انتقلت أسرتي إلى مدينة تونس، والتحقت بطلاب العلم بجامع الزيتونة...)[5]

ويقول في أمه ذاكرا فضلها إذ يرثيها في سنة 1335هـ 1916م بقصيدة طويلة يقول فيها:

بنت عـــزوز لـــقد لقنتنـــــــا خشيت الله وكيف نرعي الذماما

كنت نورا في حمانا مثل ما نجتـلي البـدر إذا الـبدر تسـامي

أ فلـــم تحييـــه بالقـــران في رقة الـــخاشع ما عشت لزامـــا

كنت لي من روضة أنس أينما سرت أهدت نفح ورد و خزامي

---

[1] _ مواعدة محمد :**محمد الخضر حسين حياته وأثاره.** الدار التونسية للنسر 1974 ، ص ص. 38–39 .انظر الملحق رقم 01،05.

[2] _ طالب نور الدين: **ترجمة الإمام محمد الخضر حسين،** الأعمال الكاملة للأمام ،م 1، ص 11.

[3] _ الحموي ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان** ، ج5،دار الفكر، بيروت، ب ت ط، ج5، ص 296.

[4] _ النجار محمد علي: **المرحوم الشيخ محمد الأخضر حسين،** مجلة المجمع،ع 1963/14 ، ص 323.

[5] _ علي الرضا الحسيني:**موسوعة الأعمال الكاملة للإمام"محمد الخضر الحسين"**مج1،دار الحسنية للكتاب، 1998 ،ص 6.

كـــــان لي من قلبك الطاهر في كل يوم دعوة تجني المرامـــــا[1]

المطلب الثالث : التحاقه بجامع الزيتونة في مدينة تونس

في سن الثالثة عشر من عمره انتقلت عائلة الخضر من نفطة إلى تونس العاصمة في أواخر سنة 1306هـ 1886م لتلقي العلوم في جامع الزيتونة وصحب معه إخوته محمد الجنيدي ومحمد العروسي ومحمد المكي وزين العابدين.

ويعد جامع الزيتونة في تونس مثل الجامع الأزهر في القاهرة وجامع القرويين في المغرب من جهة تهيئة الطالب دينيا وعلميا وخلقيا إلى أعلى مرتبة يصل إليها، ومن شيوخه في الجامع الأعظم (جامع الزيتونة): خاله الشيخ محمد المكي بن عزوز، محمد البشير الفورتي ومحمد الشريف، ومحمد صالح الشريف وأحمد بوخريص، ومحمد العزيز الوزير، و إسماعيل صفايحي، وعلي الشنوفي ومصطفى بن خليل، ومحمد جعيط، ومحمد النجار ، وعمر بن الشيخ، وسالم بوحاجب[2].

وعن طريقة التدريس بجامع الزيتونة إذ ذاك فلا أجد أحسن مما وصفه أحمد أمين في كتابه زعماء الإصلاح، حيث يقول: وعلى رأس هذه الكتاتيب جامع الزيتونة، وهي صورة مصغرة من الأزهر في ذلك العهد، تقرأ فيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعقائد، وعلوم اللغة، من نحو وصرف وبيان ومعان، في كتب مقررة لها متون وشروح وحواش، ويقضي الوقت في تفهم تعبيراتها، وإيراد الاعتراضات والإجابة عنها ، فالعلم شكل علم لا علم ، والناتج جدل لا حقائق، والناجح في الامتحان الذي يستحق أن يكون عالما و أقدرهم على الجدل، وحفظ المصطلحات الشكلية، أما الجميع فسواء في عدم التحصيل إذا مسوا الحياة الخارجية، فالمناقشة في أن شرب الدخان حلال أو حرام، ولغيبة اشد حرمة أم سماع الآلات الموسيقية، وخيال الظل تجوز رؤيته أولا تجوز.[3]

ومن أبرز الشيوخ الذين تأثر بهم محمد الخضر وترجم لهم في كتابته:

1)محمد المكي بن عزوز :وهو خال الخضر، من كبار علماء عصره اشتهر بالحديث والفقه والأصول والأدب مع الصلاح الظاهر، درس في جامع الزيتونة متطوعا، ثم رحل إلى اسطنبول ودرس الحديث هناك إلى أن توفي سنة 1334هـ .

---

[1] _ علي الرضا الحسيني:**المرجع السابق**، ص ص 200-201.

[2] _ نور الدين طالب،:**ترجمة الإمام محمد الخضر حسين**، الأعمال الكاملة الأمام ،مج1،ص ص 12-13.

[3] _ مواعدة محمد :**محمد الخضر حسين حياته وأثاره**. الدار التونسية للنسر 1974 ، ص 148.

ويتحدث الخضر عن عناية خاله به فيقول: أستاذي الذي شبت في طوق تعليمه فكرتي، وتغذيت بلبان معارفه في أول نشأتي العلامة الهمام القدوة محمد المكي بن عزوز.

وقد أجازه في دفتر التلاميذ الخاص ، ومما جاء في الإجازة: ومن تأهل لها وكان أحق بها وأهلها ابننا الألمعي الماجد وذو الخلال الفاخرة والحامد، الدراكة الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد الخضر ابن الناسك الأواه، العارف بالله الأستاذ الشيخ سيدي الحسين الشريف العلوي العزوزي، سار على الدرب فوصل، ودأب بحزم فأصبح المقصود لديه حصل، جانب الكسل فاشتار العسل، جافى الراحة، فملأ الراحة، بشهادة جهابذة الجامع، وحذاق كرام المجامع[1].

2)عمر بن الشيخ وقد ترجم له محمد الخضر في مجلة الهداية الإسلامية، ويقص طريقته في التدريس، فيقول: أما أسلوب الأستاذ في التعليم ، فمن انفع الطرق، كان يقرر عبارة المتن، ويبسطها حتى يتضح المراد منها، ثم يأخذ في سرد عبارات الشرح، وما تمس الحاجة إليه من الحواشي والكتب التي بحثت في الموضوع، لا سيما التي استمد منها شارح الكتاب، ويتبعها بالبيان جملة جملة، ولا يغادر عويصة أو عقدة إلا فتح مغلقها، وأوضح مجملها، بحيث يتعلم الطالب من دروسه كيف تلتقط جواهر المعاني من أفواه المؤلفين زيادة عما يستفيد من العلم[2].

ثم يقول عنه: تلقيت عن الأستاذ رحمه الله دروسا في تفسير البيضاوي، ودروسا في شرح التاودي على العاصمية، ودروسا على شرح الشيخ عبد الباقي على المختصر الخليلي، وكنت بعد أن استقال من منصب الفتوى ونظارة الجامع أزوره كثيرا حرصا على الاستفادة من علمه[3]

هذه الطريقة المتبعة في الشرح والتلقين هي نفسها الطريقة الأزهرية القديمة التي نادى الشيخ محمد عبدو بوجوب إصلاحها، ودعا إلى نمط آخر من الدراسة يهتم باللباد دون القشور، و أرجح ان بعض أساتذة الزيتونة لم يكونوا من هذا الطراز.

3)سالم بوحاجب :وقد كان نمطا من العلماء المصلحين الأفذاذ الذين يهتمون بالحقائق العلمية الخاصة ، فهو مثلا في دروسه كان يستشهد على كلمة لغوية ببيت من الشعر، مما ينبئ بكثرة محفوظه الأدبي، وزملائه اذ ذاك كانوا لا ينظرون إلى الدواوين الشعرية نظرة تأمل واستيعاب.

---

[1] _ مواعدة محمد :**مرجع سابق** ،ص 149.

[2] _ على الرضا الحسيني: **مجلة الهداية الإسلامية للإمام محمد الخضر الحسين** ،المطبعة السلفية ،مصر ،2001 ،ص 20.

[3] _ على الرضا الحسيني : **المرجع السابق** ، ص 23.

ولعل وجود هذا الأستاذ في حياة الخضر العلمية كان ذا اثر بعيد في اتجاهه الفكري، فهو الذي حدا به إلى البعد غن دائرة الحواشي والمتون و القريرات، وهيأه إلى أن يرد التراث العلمي من اصفي موارده في أمهات الكتب للشافعي وابن حزم والغزالي والفخر والشاطبي، و أمثال هؤلاء من أفذاذ العلماء.

ولا نجد تعليلا لنبوغ الخضر في حداثته، وتفوقه عن أقرانه غير صفاء مورده، ودسامة غذائه الفكري، على حين يظل الزملاء في مصر وتونس مولوعين بكتب المماحكات، وحواشي المتون[1].

وكان الشيخ أبو حاجب أحب الشيوخ إلى الخضر، فكان يكثر ذكره والحديث عنه، فلقد عرف الشيخ قدر تلميذه، وتوسم فيه النجابة ونباهة الشأن[2]

ويقول الخضر في شيخه هذا: وممن لقيت من الأدباء العلماء شيخنا الشيخ سالم أبو حاجب فكان يقول الشعر مع كونه يغوص على المسائل العلمية بفكر ثاقب. سافر مع الوزير خير الدين التونسي إلى الأستانة وخاطب السلطان بقصيدة، فأمر السلطان بإعطائه وساما وقال له المكلف بإعطاء الأوسمة: هذا وسام براتب، فأبى قبوله، وقال: إن من العيب عندنا إن يحمل العالم وساما. ولما عاد إلى تونس قال له ملك تونس: لو قبلت الوسام لغضبت، لأني كنت عرضت عليك مثل هذا فأبيت[3]

وعندما تلقى محمد الخضر وهو بمصر نبأ وفاة أستاذه الشيخ ابو حاجب قال قصيدة في رثائه منها هذه الأبيات[4]:

فقدت سماء المجد بدرا عز أن تحظى برؤية مثله الألحاظ

بدر سنـــــاه هدايـــــــة ومعارف وشعاعه الأقلام والألفـــــــاظ

رحمى له قد كان لي من عطفه و جنى قريحته اللذيذ حظاظ

-حياة الشيخ في تونس بعد تخرجه: حصل الخضر على شهادة التطويع يوم الأحد 14 من صفر عام 1316 هـــ 1898م، وهي الشهادة التي تمكن صاحبها من التطوع لإلقاء الدروس في جامع الزيتونة، كما تؤهله للقيام بوظائف علمية ودينية.

تخرج الخضر في الزيتونة، غزير العلم واسع الأفق، فصيح العبارة، محبا للإصلاح وهو فقيه كاتب أديب يستشعر المرارة من سوء الحال في بلده، وبسطة يد الفرنسيين فيه، ويتحرق إلى إعادة مجد الإسلام.

---

[1] _ محمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ،ص 54.

[2] _ على رضا الحسيني :**كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين** ،الدار الحسنية للكتاب ، تونس ،1998 ،ص 169 .

[3] _ على رضا الحسيني : **المرجع السابق** ، ص 170-171.

[4] _ محمد الخضر حسين : **خواطر الحياة** ، مجلد السادس من الأعمال الكاملة،ص ص: 129-130.

وقد كان الرجل حي الضمير شديد الحساسة، فقد رأى الأجنبي يحاول أن يطمس نور الشريعة عن عيون تهيم بالإسلام، كما يبذل قوته الحاشدة لتشويه اللغة العربية والحكم عليها بالجمود والتقهقر، لينصرف الناس عن قرآنهم المجيد وأحاديث نبيهم الكريم، ثم تنقطع صلاتهم بأصحاب الذخائر العلمية الرائعة من ورث الانبياء وهداة المصلحين.

وأمام هذه التحديات رأى أن أخر ما ينفق فيه جهده تنبيه الأفكار وبعث اليقظة في نفوس الناس، وقد كان صاحب طموح كبير، فلم يقنع بالعمل في الإدارة والاستقرار بها، ولم يكتف بالجهد العلمي الذي كان يبذله في سبيل نشر العلم والمعرفة، بل خلق وسائل أخرى أكثر تأثيرا وانتشارا، وشق طريقا صعبة لتحقيق أهدافه.

ويمكن تلخيص أهم أعماله وجهوده في هذه المرحلة[1]

-إنشاء مجلة السعادة العظمى: في شهر افريل 1904 اصدر الأستاذ الخضر مجلة علمية أدبية جامعة هي الأولى من نوعها في المغرب العربي،استمرت قرابة العام، وبلغت واحد وعشرون عددا تنشر محاسن الإسلام، وترشد إلى مبادئه وشرائعه، وتوقظ الغافلين من أبناء أمته وتفضح أساليب الاستعمار.

وقد أيدها علماء الإصلاح، مثل الشيخ سالم بو حاجب، الذي خاطب تلميذه الخضر بقوله: أقول لك ما قاله ورقة بن نوفل لرسول الله(صلى الله عليه وسلم): لم يأت احد بمثل ما جئت به إلا أوذي. يشير إلى النقد الذي لقيته المجلة من بعض الناقدين.

وقد بدت في هذه المجلة نزعة إلى حرية النقد ودعوة إلى احترام التفكير، وتأييد لفتح باب الاجتهاد، وقد جاء في مقالها الافتتاحي :إن دعوة أن باب الاجتهاد قد أغلق هي دعوة لا تسمع إلا إذ أيدها دليل يوازن في قوته الدليل الذي فتح به باب الاجتهاد. فلم تكن هذه الدعوة لتلقى القبول من وسط الجامدين دعاة التمسك بالقديم، فتم توقيف المجلة بعد طالبت هيئة النظارة العلمية بجامع الزيتونة الحكومة بتعطيلها.

-تولي القضاء: في سنة 1905 تقلد منصب القضاء بمدينة بنزرت، كما عهد له بالخطابة والتدريس بجامعها الكبير، واستمر قائما بهذه الوظائف سنة وبضعة أشهر، ولما رأى خطة القضاء محفوفة بالمكاره وزيادة أن العمل بها اقل مما تتعلق بها همته، لم ترقه هذه المهنة. إذ تحول دون ما يريد من الدعوة للجهاد، ومناهضة المستعمر، فترك هذا المنصب ورجع إلى العاصمة.

-التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية: في سنة 1906 درس متطوعا في جامع الزيتونة كما كلف بتنظيم مكتبته العامرة بالكتب والمخطوطات، كما عين مدرسا من الطبقة الثانية للعلوم الدينية والعربية بهذا

[1] _ محمد علي النجار: **المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين**، مجلة مجمع اللغة العربية، ع14،ماي1963 ، ص 327 .انظر الملحق رقم 02،03 ،04.

الجامع، اثر نجاحه في مناظرة اجتازها في : 03 اوت 1907م. ثم اختير للتدريس بالمدرسة الصادقية وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة في تونس ، ودعي للتدريس بالجامعة الخلدونية[1].

وفي مدة تدريسه بجامع الزيتونة، درس فنونا وكتبا متعددة، مثل: المثل السائر لابن الأثير، وشرح الدردير لمختصر خليل، ومختصر السعد، وشرح المحلى بجمع الجوامع، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك وغيرها، فكانت دروسا عظيمة الصدى، ازدحم عليها المستفيدون، وحاز بها شهرة ومكانة لدى الوسط العلمي.

-تأسيس الجمعيات والنوادي وإلقاء المحاضرات : في 1906 ألقى الخضر محاضرة في نادي قدماء خريجي المدرسة الصادقية عن الحرية في الإسلام، فكشف فيها عن موقف فكري ذي مغزى في بلد يستبد بحكمه المستعمرون الفرنسيون.

وفي سنة 1907 اشترك الخضر في تأسيس الجمعية الزيتونية، ثم كلف بالخطابة في الخلدونية وفي اكتوبر 1909م القي محاضرة في نادي الجمعية الخلدونية عن: حياة اللغة العربية ، وفي العام التالي نظم قصيدة يدعو فيها علماء جامع الزيتونة إلى العناية بتنشئة جيل من الكتاب والأدباء والدعاة...فبهذا وضحت مقاصده من وراء الدعوة إلى إحياء قيم الحرية، والعروبة، وأدوات الكتابة والخطابة في وطن يخضع لاستعمار ينهب خيراته ويستبد بمقدراته ويمسخ هويته العربية الإسلامية.

-الرحلة إلى الجزائر :قام الخضر برحلتين علميتين إلى الجزائر الأولى سنة 1903م ، والثانية سنة 1904 م ونشر عنهما في مجلته السعادة العظمى. وقد اهتم في رحلتيه بالميدان الثقافي والديني، فزار المساجد والمكتبات، وحضر بعض الدروس الدينية واللغوية كما القي بعض المسامرات في الفقه والحديث والتفسير، وشارك في بعض المجالس الأدبية.

-التنديد بالغزو الايطالي :ومن خلال نشاطه السياسي، شارك الخضر في التنديد بالحرب التي شنتها ايطاليا ضد ليبيا سنة 1911 م ، فقد حث المواطنين على مساعدة الشعب الليبي المسلم والحكومة العثمانية ضد الايطاليين، ونشر قصيدته الشهيرة التي نلمس فيها بوضوح حبه للحرية، وعواطفه الوطنية والإسلامية الجياشة، وقال في مطلعها[2] :

ردوا على مجدنا الذكر الذي ذهبا يكفي مضاجعنا نوم دهى حقبا

ولا تعود إلى شعب مجادته إلا إذا غامرت هما ته الشهبـــــا

[1] _ محمد مواعدة: **المرحلة التونسية في حياة الامام العلامة محمد الخضر حسين**، الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، المجلد الخامس عشر، دار النوادر ،سوريا ،1998،ص 42 .

[2] _محمد الخضر حسين :**خواطر الحياة** ، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة،1366ه، ص104.

المبحث الثاني : المرحلة السورية

لأمور سياسية وضيق عام اثر الضغط المسلط على الناس من حكومة الاستعمار في تونس، وكبت الحريات ثم لأجل أمور عائلية منها : هجرة خاله محمد المكي ين عزوز إلى الآستانة وهجرة عائليه إلى دمشق، ثم إخفاقه في نيل التدريس من الطبقة الأولى بجامع الزيتونة ، لأجل كل هذه العوامل مجتمعة فكر الشيخ في الرحيل وزيارة الأهل والأقارب.[1]

وبسفره إلى المشرق بدأ الشيخ المرحلة الآتية من حياته التي سميت بمرحلة التنقل والاستكشاف بحثا عن فضاء أرحب لنشاطاته لاسيما وهو من أنصار الجامعة الإسلامية الذين يؤمنون بخدمة الملة الإسلامية خدمة لا تضيق بها حدود الأوطان.

وفعلا سافر في رحلة استكشافية يوم الخميس (4 شعبان 1330 هـ 18 جويلية 1912) وزار جزيرة ماطا والإسكندرية والقاهرة فبث فيها مدة وجيزة حيث ألقى درسا بالأزهر وتعرف على كوكبة من العلماء المناضلين منهم الشيخ طاهر الجزائري والسيد محمد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب و اخكمد تيمور كما زار فلسطين ودمشق والتقى هناك بإخوته وقضى معهم شهر الصيام، ثم انتقل إلى بيروت ومنها إلى اسطنبول لزيارة خاله، ثم رجع بعدها إلى تونس في نوفمبر 1912.[2]

عاد الشيخ الخضر إلى تونس ضانا أن الأمور قد هدأت بها، لكنه أصيب بخيبة أمل ولم تطب له الإقامة مجددا لظروف متعددة، فوجد إدارة المدرسة الصادقية قد فصلته عن التدريس متعللة بغيابه، وألقى دروسا بجامع الزيتونة ومحاضرة عنوانها، مدارك الشريعة الإسلامية بنادي جمعية قدماء الصادقية.

ثم عزم على الرجوع إلى دمشق نهائياً، فغادر تونس في ديسمبر 1912 م متنقلا إلى الجزائر، فمصر فدمشق، ثم قصد عبر القدس الحجاز حيث حج ثم زار ألبانيا ومعظم بلاد البلقان والآستانة ومنها قفل إلى دمشق، و هناك استقر مع عائلته: والدته وإخوته الأربعة، وكانت سنه يناهز الأربعين ، وقد تكونت شخصيته من العلم والمعرفة وسبقته شهرته إلى دمشق فاستقبل بالتكريم والتقدير، وامتدت إقامته في دمشق من سنة 1912 إلى سنة 1920م، واتصفت هذه المرحلة من حياته بكثرة الترحال والتنقل في العالم العربي وبعض البلدان الأوروبية.

---

[1] _محمد الفاضل بن عاشور: **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، الدار التونسية، 1983، ص95.

[2] _فوزي مصمودي: **تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة واقليمها من 1900 إلى 1956**، الجمعية الخلدونية، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص186. انظر الى الملاحق 03،04

كما نجده شعلة متوقدة من النشاط والعطاء وإقبال وتحقيق رسالته التي أخطها لنفسه في خدمة الإسلام، والعمل في ميادينه المتنوعة التي يرتاح لها ضميره وتطمئن لها نفسه ويرضى بها ربه ودينه.

ومن خلال إقامته في دمشق تبرز لنا ثلاث ومضات :[1]

– نشاطه العلمي الغزير، ومكانته العلمية الرفيعة.

– سجنه في معتقل جمال باشا

– نشاطه العلمي الغزير، ومكانته السامية في الأوساط السورية :

دخل الشيخ إلى دمشق وقد سبقته شهرته العلمية إلى الأوساط الثقافية، فبادر العلماء والأدباء للترحيب به في المجالس والنوادي كما التف حوله طلبة العلم في حلقات الدرس والبحث فأعطى كل فريق حقه فوطد علاقاته مع كبار العلماء والمفكرين منهم: محمد كرد علي (رئيس المجمع العلمي السوري)، وعلامة الشام محمد بهج البيطار ، والشاعر خليل مردم، وخير الدين الزركلي(صاحب كتاب الأعلام) وغيرهم.

كما وزع نشاطاته و أوقاته في :

إلقاء الدروس والمحاضرات في المسجد الأموي والنوادي الأدبية.

تدريس اللغة العربية والفلسفة في المدرسة السلطانية.

العضوية في المجمع العلمي العربي السوري منذ جلسته الأولى سنة1919.

عقد مسامرات علمية وثقافية ومجالس خاصة على مدار الأسبوع.

يقول الشيخ في رسالة له من دمشق إلى الشيخ محمد الصادق النفير بتونس: أما سيرتنا بدمشق فلم تتغير عن الطريقة التي كنا نسلكها في تونس، وهو انم عظن أدبائها وكبارها يعرفوننا ونعرفهم بالجملة: فقد لقيت منهم أخلاقا حسنة، وآدابا مؤنسة ، وفيه بلغني أنهم راضون عن سيرتنا ومعجبون بمسلكنا في التعليم.[2]

وقد أشاد الشيخ محمد بهجت البيطار بفضل الشيخ وتوجيهاته، حيث يقول: كان من حكمة الله تعالى ورحمته إن يسر لنا – معشر طلاب العلم– بعد وفاة شيخنا علامة الشام جمال الدين القاسمي إماما حكيما وهو استأذنا الشيخ محمد الخضر حسين – رحمهما الله – فقد شملنا بعنايته بعد وفاة صديقه القاسمي، وخيرنا فيما نحب إن نقرا من العلوم والفنون والكتب، فكان إن وقع اختيارنا – بتوجيهه وإرشاده –

[1] _علي الرضا الحسيني: **المرحلة السورية في حياة الامام محمد الخضر حسين**، الاعمال كاملة للإمام، المجلد الخامس عشر، ص47.

[2] _علي رضا الحسيني: **موسوعة الاعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين**، المجلد الاول، ص20.

على كتاب المستصفى في أصول الفقه لحجة الإسلام الغزالي، كتاب بداية المجتهد للفيلسوف ابن رشد في فن الخلاف، وصحيح الإمام مسلم في علم الحديث، والمغني في العربية لشيخ النحاة ابن هشام، والكامل في الأدب للمبرد.

فتولى شيخنا قراءة هذه الكتب على أفضل طريقة، وانشأ تعليقات مهمة عليها، يصح إن تكون مرجعا فيما يشكل على الباحث في مطالبها المنوعة ومقاصدها العليا.[1]

وعندما عزم الشيخ الخضر على الارتحال من دمشق كتب له الشاعر الأستاذ خليل مردم وزير خارجية سوريا، ورئيس المجمع العربي في ذالك العهد كتابا رقيقا جاء فيه[2]: سيدي إن خير ما اثبت في سجل حياتي واشكر الله عليه، إلى الأستاذ الجليل السيد محمد الخضر. فقد صحبت الأستاذ عدة سنين، رأت فيه الإنسان الكامل، الذي لا تغيره الإحداث والطوارئ، فما زلت اغبط نفسي على ظفرها بهذا الكنز الثمين حتى فالجاني خبر رحلته عن هذه الديار فتراءت لي حقيقة المثل: بقدر سرور التواصل تكون حسرة التفاصل.

وقدم له قصيدة لتكون له رتيمة عنده وذكرى احد المخلصين إليه، ومطلعها:

طيف للمياء ما ينفـــك يبعـــــث لي في أخر الليل ان هوّمـــــــت أشجانا

وأجاب الشيخ بقصيدة طويلة [3]، ومطلعها:

ما النجم تجري به الأفلاك في غسق كالدر تقذفه الأقلام في نسق

ويقول فيها :

وكيف أنسى خليلا قد تضوع في حشاشتي وده كالعنبر العبق

دخوله السجن ومحنته مع السفاح جمال باشا :

عندما نقرا سيرة الشيخ محمد الخضر حسين نجد صفحات قاسية مؤلمة من جراء دفاعه عن الحق، إذ عانى الاضطهاد على يد السفاح التركي حاكم دمشق جمال باشا، وقبل الابتلاء بكل إيمان وصبر، وقلب مؤمن صادق.

اعتقل الشيخ في خان مردم بك بدمشق مدة ستة أشهر وأربعة عشرة يوما في شهر رمضان 1334هـ الموافق لـ أوت 1916م ، ووجهت إليه تهمة الإخلال بأمن الدولة العثمانية ،لحضوره اجتماعا

---

[1] _محمد بهجت البيطار: **لكتاب دراسات في العربية وتاريخها للإمام محمد الخضر حسين**، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، 1960، ص30.

[2] _علي الرضا الحسيني: **المرحلة السورية في حياة الإمام محمد الخضر حسن**، مرجع سابق ص ص 50-51.

[3] _محمد عمارة: **الاستقلال الحضاري**، نهضة مصر، القاهرة ، 2007، ص204.

خاض فيه المجتمعون بسياسة الدولة، واستفتي فيه احد المحامين الإمام عن نكث العهد م طاعتها ، والخروج عليها ودعا بعض الحضور إلى تأسيس جمعية للعمل على الانفصال عن الدولة العثمانية .

وبالرغم من أن الشيخ من دعاة الوحدة الإسلامية ولا يرتضي مثل هذه الدعوات إلا أن السلطات اعتبرت عدم إبلاغها عن الاجتماع تهمة، وإحالته إلى المجلس العرفي العسكري تأذي حكم له بالبراءة، مما نسب إليه من حيث النتيجة ، وقدم الاعتذار للشيخ وقرر مخاطبة الدولة لطلب إعطائه تعويضا عما لحقه من ضرر.

ويقول الشيخ: ولكني لم أتشبث بهذا القرار وقنعت بما ظهر للدولة من طهارة ذمتي، وعدم تسرعي إلى النفخ في لهيب الفتنة على غير هدى.[1]

ولم يكن للشيخ في سجنه يشعر وهو غير بال من الخوف على حياته ، فهو يعتقد من ناحية انه بريء ومن ناحية أخرى فهو يعلم انه أن قتل كغيره من العلماء العرب، فانه سيموت شهيدا في سبيل الإسلام، ولم يكن يؤلمه شيء في السجن سوى انه لا يجد قلما ولا ورقا يسجل خواطرهن ويكتب أفكاره وأشعاره. وفي هذا يقول:

غل الحبس يدي عن قلم كان لا يصحو عن الترس، فناما

هل يذود الغمض عن مقلته أو يلاقي بعده الموت الزؤاما

أنا لولا همة تحدو إلى خدمة الإسلام أثرت الحماما

ليست الدنيا و ما يقسم من زهرها إلا سرابا أو جهانا [2]

وكان من رفاق الشيخ في السجن: الرئيس شكري القوتلي الذي شغل منصب رئيس الجمهورية السورية، وفارس الخوري احد رؤساء الوزارة، وسعدي بك المنلا الذي أصبح رئيسا للوزراء في لبنان.

ومن روائع شعره في المعتقل، إن الأستاذ سعدي المنلا كان رفيق الإمام في وزنزانة واحدة، وجرت بينهما محاورة عن البداوة والحضارة، فقال الشيخ :

جرى سمر يوم اعتقلنا بفندق ضحانا به ليل وسامرنا رمس

قال رفيقي في شقا الحبس إن في الـــ حضارة أنسا لا يقاس به انس

فقلت له : فضل البداوة راجح وحسبك أن البدو ليس به حبس[3]

---

[1] _علي الرضا الحسيني، **المرحلة السورية في حياة الإمام محمد الخضر حسين**، مرجع سابق، ص55.

[2] _علي الرضا الحسيني:**موسوعة الاعمال الكاملة للإمام محمد الخضر الحسين**، مج 6، دار النوادر، سوريا، ص34.

[3] _علي الرضا الحسيني: **المرجع السابق**، ص51.

خرج الشيخ الخضر من السجن في 29 جانفي 1917م ، ولم يلبث حتى سافر إلى الآستانة بعد أن استدعاه وزير حربيتها أنور باشا، فعطف عليه واختاره محررا عربيا بالوزارة وقد يكون وذلك التعيين نتيجة مساعي الزعيم التونسي علي باش حانبة ورفاقه بالآستانة، ليكون الشيخ الخضر قوة تعاضدهم في العمل من اجل تحرير المغرب العربي، حيث كان علي باش حانبة وأخوه محمد والشيخان صالح الشريف (ت 1920) و إسماعيل الصفايحي (1918) ، وغيرهم يعملون في تركيا وفي أوروبا على أعداد حملات تحريرية مسلحة ضد الاحتلال الايطالي والفرنسي في المغرب العربي، وكانوا يتحركون بكثرة بين العواصم ولهم اتصالاتهم السرية المنظمة وأنصارهم الكثيرون في تونس وليبيا والجزائر. وقد نجحوا في تنظيم حركات ثورية مسلحة بالجزائر وتونس وليبيا. [1]

نضال الشيخ في ألمانيا من اجل المغرب العربي الإسلامي:

جند الاستعمار الفرنسي – بالترغيب والترهيب– الآلاف من أبناء المغرب العربي في صفوف جيشه ، وزج بهم كالقطيع من الأغنام في مذابح الحرب العالمية الأولى، وألقى بهم في خطوط النار الأولى في المعارك التي خاضتها فرنسا ضد ألمانيا ، ووقع العدد الكبير منهم اسري لدى القوات الألمانية.

وما كاد الشيخ الخضر يستقر بالآستانة في منصبه الجديد بوزارة الحربية، حتى كلف بالسفر إلى ألمانيا والاتصال بهؤلاء الأسرى ليحرضهم على القتال ضد فرنسا ،لان بلادهم أحوج إليهم في هذا الموقف.

أقام في ألمانيا على مرحلتين: تسعة أشهر في سنة 1917 م ، وسبعة أشهر في عام 1918 م ، وكان رفاقه في النضال ،الشيخ صالح الشريف ، والشيخ إسماعيل الصفايحي

كما التقي بالأحرار من أنصار الفكرة الإسلامية أمثال :محمد فريد ، وعبد العزيز جاويش، وعبد الحميد سعيد ،و يعملون جميعا على استقلال الدولة الإسلامية أمدا طويلا في وطأه الحرب ، وبين طلقات المدافع، وأزيز الطائرات، في مسرح جهنمي يشيب له الرؤوس .[2]

قام الشيخ (اللجنة التونسية الجزائرية) لتحرير المغرب العربي، وألقى المحاضرات على الجنود المغاربة الأسرى في المعتقلات، وسعى إلى ضمهم تحت لواء الثورة على الاستعمار من اجل الاستقلال والحرية لأوطانهم.

وكان يكتب مناشير التحريض، لتلقى بواسطة المدافع وراء خطوط القتال على الجنود المغاربة، يدعوهم فيها إلى التمرد والعصيان.[1]

---

[1]_علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، القاهرة 1948 ، دد ، دط ، ص 53.

[2]_علي الرضا الحسيني: **المرحلة السورية في حياة الإمام محمد الخضر حسين** ، مرجع سابق، ص 56.

اغتنم الشيخ الفرصة فأتقن اللغة الألمانية خلال مدة إقامته في برلين، واطلع على أحوال المجتمع الألماني وعاداته وأخلاقه، كما درس علوم الكيمياء والطبيعة على يد البروفيسور الألماني (هاردر) أحد العلماء المستشرقين الألمان. وتقول بعض المصادر أنه كان يخطب باللغة الألمانية في بعض المناسبات.

وفي أتون الحرب المشتعلة لهيبا ودمارا، لم يترك الشيخ القلم جانبا، وإنما دون مشاهداته في برلين، ونشرها في جريدة المقتبس في دمشق، كما طبعت في كتاب مستقل، وله قصائد عديدة في مناسبات عدة في ألمانيا ضمنها ديوانه.

ومن مواقفه الشجاعة يقول الشيخ: وأذكر أني كنت في ألمانيا في أيام الحرب العالمية الأولى حضرت حديثا يدور بين مدير الاستخبارات الألمانية وسكرتيرته أثناء سفرنا إلى قرية ويزندوف، سألني المدير في نهايته فقال : أليس كذلك يقول ابن خلدون؟

قلت وماذا يقول؟ قال: أن العرب لا يصلحون لملك، ولا يحسنون حكما للأمم، قلت: إنما خص ذلك بعهد الجاهلية، وقرر أنهم أحسنوا السياسة، وقاموا بأعباء الملك خير مقام. وقد بين ذلك غاية البيان في فصل عقده في مقدمته...)، وقد استشهد الشيخ بهذا الفصل من مقدمة ابن خلدون، وقد نظم الشيخ في هذه المناسبة قصيدة عنوانها: العرب والسياسة ومما قال فيها[2]:

عذيري من فتى أزرى بقومي وفي الأهواء ما يلد الهذاء

يقول العرب ظلوا في جفاء وما عرفوا السياسة والدهاء

سلوا التاريخ عن حكم تملت رعاياه العدالة والرخاء

هو الفاروق لم يدرك مداه أمير هز في الدنيا لواء [3]

[1] _علي الرضا الحسيني: **المرجع السابق**، ص56

[2] _على الرضا الحسينى : **خواطر الحياة**، مرجع سابق، ص ص 57،58.

[3] _ محمد مواعدة: **محمد الخضر حسين حياته وأثاره**، مرجع سابق، ص106.

المبحث الثالث : المرحلة المصرية

عند الاحتلال الفرنسي لسورية اثر معركة ميسلون يوم 24 جويلية 1920 م أصبحت إقامة الخضر حسين معرضة للخطر ، وهو المتابع من السلطات الفرنسية من تونس، ثم لنشاطه السياسي بالأستانة وبرلين. ولذلك بالرغم من حنينه إلى وطنه تونس ، فقد قرر الانتقال إلى مصر والاستقرار بها. فقد كانت القاهرة مقر الجامع الأزهر وملجأ العلماء والباحثين. وقد عبر عن هذه الأجواء الجديدة قائلا : وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، وأخذت البلاد العربية والتركية هيئة غير هيئاتها ، هبطت مصر ، فلقيت على ضفاف النيل علما زاخرا وأدبا جما.[1]

وتعد المرحلة المصرية هي الثالثة والأخيرة من حياة الشيخ محمد الخضر حسين، حيث امتدت طيلة 24 سنة، من سنة 1920 إلى وفاته سنة 1958. وهي المرحلة التي أطلق عليها الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: مرحلة المجد الثقافي والشهرة العلمية. ولذلك كانت من أغزر مراحل حياته إنتاجا علميا وثقافيا وإعلاميا، وأبرزها مكانة وشهرة وفعالية.

ولتحديد معالم هذه المرحلة بوضوح، نتتبع ابرز المحطات واهم النشاطات التي اضطلع بها الشيخ خلال إقامته بمصر.

المطلب الأول : أيامه الأولى بالقاهرة

منذ أيامه الأولى قام بالاتصال بالطلبة المغاربة بالجامع الأزهر، كما تمكن من الحصول على وظيفة مصحح ومراجع النصوص بدار الكتب المصرية، بتدخل من صديقه الحميم العلامة احمد تيمور. ومما يستحق الذكر هو: اعتماد الشيخ على نفسه ، وهو الوحيد البعيد عن الأهل والأقارب، وتحمله لشتى الأتعاب والمشاق ، فقد كان ذا شخصية قوية ، وأنفة وشعور بعزة النفس.

-تكوين جمعيات وفي مختلف المجالات: الاجتماعي والديني والتربوي والسياسي

-تأسيس جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية سنة 1924: والتي تألفت من شخصيات مغاربة ، من تونس والجزائر وليبيا والمغرب، وقد تحمل مسؤولية رئاستها. وكان هدفها الرفع من مستوى هذه الجاليات ماديا واجتماعيا وثقافيا.

-تأسيس جمعية الهداية الإسلامية سنة 1982 :

---

[1] _ محمد الامين بلغيث : **حركة الاخوان المسلمين وبداية طرح المشروع الاسلامي في العصر الحديث**، دار كتاب الغد، الجزائر، 2007،ص 20.

جمع الشيخ حوله ثلة من العلماء ، كالأستاذ مصطفى المراغي شيخ الأزهر ، والأستاذ عبد الحليم النجار، وطائفة من شباب الأزهر المثقفين فأسسوا هذه الجمعية واختاروا العلامة الخضر رئيسا لها، وكان نشاطها علميا أكثر منه اجتماعيا ، وقد كون الشيخ بها مكتبة كبيرة كانت مكتبته الخاصة ، نواة لها .

وتهدف هذه الجمعية إلى نقطتين:

- التعريف بحقائق الإسلام ، ونشرها بأسلوب يلائم روح العصر .
- السعي لتمتين الصلات بين الشعوب الإسلامية والقضاء على الخلافات بين فرقها المختلفة. مقاومة الإلحاد والدعايات المناوئة للدين الإسلامي بطرق علمية
- السعي لإصلاح اللغة العربية ، وإحياء آدابها.[1]
- وقد استعمل مؤسسو الجمعية وسيلتين لتحقيق هذه الأهداف، وهما:
- إلقاء المحاضرات والمسامرات في المساجد وفي بعض النوادي التابعة لفروع الجمعية.
- إصدار مجلة تحمل اسم الجمعية، يشارك في تحريرها نخبة من العلماء والفقهاء في الدين والأدب واللغة، كانت تحمل الروائع من التفسير والتشريع واللغة و التاريخ.[2]

-تأسيس جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا :

كان الشيخ إلى جانب صفاته الإصلاحية كان شعلة من نار على أعداء الشعب خاصة الاستعمار الذي احتل البلاد واستعبد رقاب العباد، فأسس هذه الجبهة سنة 12945 رفقة الأمير سعيد الجزائري، والشيخ الفضيل الورتلاني ، والأمير عبد الكريم خطابي ، والزعيم التونسي لحبيب بورقيبة وغيرهم. وبدأ الشيخ يحرض إخوانه المغاربة ، ويؤلبهم حتى يكافحوا كفاحا مستميتا بهدف تقويض صرح العدو وانتزاع حرية أوطانهم، والتخلص من الاحتلال ، وكان لهذه الجبهة الدور الفعال في شد أزر الزعماء والمقاومين، وإبلاغ صوتهم إلى المنظمات الدولية.[3]

---

[1] _محمد الخضر حسين: **نقض كتاب الاسلام واصول الحكم**، تحقيق: علي الرضا الحسيني، دار الحسنية للكتاب، سوريا، 1997، ص11.

[2] _محمد مواعدة: **محمد الخضر حسين حياته وأثاره**، مرجع سابق ص91.

[3] _ محمد الخضر حسين: **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، تحقيق: علي الرضا الحسيني، دار الحسنية للكتاب، سوريا، 1997، ص15.

المطلب الثاني : معاركه الفكرية والعلمية

كانت للشيخ مساهمات هامة وفاعلة في المناظرات ، بل في الصراعات الفكرية والعلمية والدينية والأدبية خلال هذه المرحلة المصرية، ولعل من أبرز هذه المساهمات التي أبانت عن مكانة الشيخ محمد الخضر العلمية ، ولفت إليه الأنظار وحاز بسببه الإعجاب والتقدير هو رده العلمي القوي الحجة الساطع البرهان على كل من الشيخ علي عبد الرزاق والدكتور طه حسين.

فقد كتب الشيخ عبد الرزاق سنة 1925م كتابا سماه: الإسلام وأصول الحكم، نفى فيه أن تكون الخلافة في الدين، وزعم أن الدين لا يتدخل في الحكم ، وقد رد عليه الشيخ محمد الخضر ونقضه بكتاب في 252 صفحة سماه: نقض كتاب الإسلام أصول الحكم، فطبع أرد في نفس السنة ونفذت طبعته في شهر.[1]

وفي العام التالي سنة 1926 ظهر كتاب في الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين، ادعى في أن هذا الشعر منحول، مرددا في ذلك دعوى المستشرق مارجيلوث، فتصدى الشيخ لهذه الدعوى ولصاحبها وكتب ردا تحت عنوان : نقض كتاب في الشعر الجاهلي ، وصنع معه ما صنع مع كتاب الإسلام وأصول الحكم، عندما فنده فقرة ، وفكرة فكرة ، مع أدب رفيع في الحوار ، وبراعة في الجدل كشفت عن عقل متمكن ومتمرس في ميدان البحث والمناظرة، يغترف صاحبها من العلم لا ينضب[2]

1)التدريس بقسم التخصص بجامع الأزهر:

إن تواصل نشاط الشيخ ، وكثافة هذا النشاط العلمي والثقافي والإعلامي أكد حضوره العلمي المتميز في المجتمع المصري، وخاصة لدى علماء الأزهر، ولذلك وقع انتدابه في كلية أصول الدين بهذه المؤسسة العلمية سنة 1927 بصورة مؤقتة، ثم بصورة رسمية سنة 1928 عندما أصبح الشيخ المراغي شيخا للأزهر.

ولما أنشأ الأزهر مجلته نور الإسلام وشعارها: المجلة الدينية العلمية الأخلاقية التاريخية الحكمية وهي المعروفة اليوم باسم مجلة الأزهر ، ترأس الشيخ الخضر تحريرها،وصدر العدد الأول في شهر محرم 1349هـ – جوان 1930م ، واستمر في تحريرها حتى عام 1935م[3]

2)نشاطه في المجمع اللغوي:

عند تأسيس المجمع اللغوي بالقاهرة بمرسوم ملكي أصدره الملك فؤاد الأول في 14 شعبان 1351 هـ 13 سبتمبر 1932م . ثم صدر مرسوم ثان تم بموجبه تعيين الأعضاء العاملين بالمجمع وهم من أبرز

---

[1] _علي الرضا الحسيني: **موسوعة الاعمال الكاملة للإمام محمد الخضر الحسين** ،م13، ، دار النوادر، سوريا، ص 379.

[2] _ محمد عمارة: **الاستقلال الحضاري**، مرجع سابق، ص349.

[3] _ محمد مواعدة :**محمد الخضر حسين حياته وأثاره**، مرجع سابق، ص194.

العلماء والمستشرقين منهم: الشيخ محمد الخضر حسين ، والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، والمستشرقون : هلمتون جيب، ونالينو مرسينيون ...[1]

وقد ترأس الشيخ لجنة اللهجات، وشارك في أعمال عدة لجان علمية ، وألقى عديد البحوث نشرت بمجلة المجمع ،كما مثل هذه المؤسسة اللغوية في مؤتمرات دولية عديدة.

3)العضوية في جماعة كبار العلماء بالأزهر:

تقدم الشيخ برسالته: القياس في اللغة العربية لعضوية كبار العلماء 'وتشكلت لجنة من قساة الممتحنين، وكان العالم الفاضل الأستاذ عبد المجيد اللبان رئيسا للجنة ، فأبدى الشيخ من الرسوخ والتمكن، ما أدهش الحاضرين، وبهرهم بغزارة علمه ، وفاض عليهم بما وهبه الله من معارف، حتى إن الشيخ اللبان صاح إعجابا قائلا: هذا بحر لا ساحل له، فكيف نقف معه في حجاج؟ و نص القرار على أن اللجنة امتحنت الشيخ محمد الخضر، ووجدته بحرا لا ساحل له.

وفي 29 أفريل من سنة 1951 صدر أمر ملكي برقم 22 بتعيين الشيخ محمد الخضر حسين عضوا في جماعة كبار العلماء، وكانت هذه العضوية سبيله إلى عرض اسمه على مجلس الوزراء عندما أراد المجلس اختيار شيخ الأزهر من كبار العلماء .[2]

4)الإمام في مشيخة الأزهر :

يروي الشيخ : أن أمه حينما ولدته ، وكبر قالت له: إنها كانت تربّت عليه وهو صغير وتقول له: إن شاء الله يا أخضر ، تكبر وتروح للأزهر.

واستجاب الله لدعوة الأمة الطاهرة، وإذا أصيل طولقة ووليد نفطة يجوب العالم داعية للإسلام، وتنتهي به رحلة الإيمان إلى أن يصبح إماما وشيخا في الجامع الأزهر[3]

---

[1] _يوسف وغليسي: **رسائل العلامة محمد الخضر حسين قراءات في التواصل اللغوي ووضائفه**،الجمعية الخادونية للأبحاث والدراسات التاريخية،ع8،ص124.

كما ينظر إلى: Jean Dubois (et autres) : Dictionnaire de Linguistique, Librairie Larousse, Paris, 1973, p96-99 (Communication), et p216 (Fonction), et p314-315-316 (Message).

[2] _ علي الرضا الحسيني :**ومضات من حياة العلامة محمد الخضر حسين**، ،الأعمال الكاملة، م 15،دار النوادر، سوريا،ص ص 44-45.

[3] _ علي الرضا الحسيني: **المرجع السابق**، ص47.

وقدم استقالته من مشيخة الأزهر في جانفي 1954م لكبر سنه، إذ تجاوز الثمانين، ولتدهور حالته الصحية ،ولخلافات عديدة بينه وبين مجلس قيادة الثورة، وهو العالم الجليل صاحب الشخصية القوية،

و الكبرياء والأنفة والذي لا يخشى في الله لومة لائم. ومما يذكر عنه في أثناء توليه مشيخة الأزهر: إن الأزهر أمانة في عنقي، أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة ، وإذا يتأتى أن يحصل للأزهر مزيدا من الازدهار على يدي فلا أقل من أن لا يحصل له نقص. وكان كثيرا ما يردد : يكفيني كوب لبن ، وكسرة خبز وعلى الدنيا العفاء.[1]

المطلب الثالث : وفاة الشيخ

واصل الشيخ بعد الأزهر نشاطه في المجمع اللغوي ، وفي جماعة كبار العلماء، وكتابة المقالات والبحوث الدينية في بعض المحالات إلى أن وافته المنية، ورجعت نفسه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية بعد ظهر يوم الأحد 13 رجب 1377هـ ، 2 فيفري 1958م ، وصلي عليه في الجامع الأزهر، ومشى في موكب جنازته علماء الأزهر وأعيان الأمة ، والمنسبون إلى العم ، ودفن إلى جوار صديقه المرحوم أحمد تيمور ، بوصية منه، جانب مسجد الإمام الشافعي بالقاهرة. [2]

وقد نعاه زميله العلامة محمد علي النجار بقوله: (إن الشيخ اجتمع فيه من الفضائل ما لم يجتمع في غيره إلا في الندرة، فقد كان عالما ضليعا بأحوال المجتمع ومراميه، لا يشذ عنه مقاصد الناس و معاقد شؤونهم، حفيظا على العروبة والدين، يريد ما يوجه إليه ما ، وما يصدر من الأفكار منابذا لهما، قوي الحجة، حسن الجدال ، عف اللسان والقلم لا يتناول المنقود بما يخزيه وما ينم عرضه، وكان يكره ذلك لمجادله وخصمه)[3]

المطلب الرابع : مؤلفاته وأبرز آثاره

لم يخلف الشيخ من حطام الدنيا شيئا لكنه ترك ذكرى طيبة وسيرة حسنة ومواقف جريئة في ميادين العلم والسياسة والجهاد والقدوة الحسنة وترك كنوزا من الفكر والأدب شاهدة على عقله المبدع وجهده الدؤوب.

---

[1] _ محمد مواعدة: **محمد الخضر حسين حياته وأثاره**، مرجع سابق، ص210.

[2] _عبد العالي سالم مكرم: **القرآن الكريم وأثره في الدرسلت النحوية**، (د د ن)، (د ت ن)، ص100.

[3] _محمد علي النجار: **المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين**، مجلة مجمع اللغة العربية، ع 14 /1963، ص 334.

ومن المسلم به: أن الذي يتلقى علومه من الصافي كمثل الجامع الأعظم – جامع الزيتونة– وأخذ عن شيوخ أجلاء اتخذوا من العلم عبادة وتفرغوا له بالدرس والتدريس ، يتخرج من قلعة راسخة بالإيمان والمعرفة ينطلق في الحياة بزاد لا ينفذ، ويعطي عطاء من يعرف من بحر لا ساحل له

كان الشيخ عالما فقيها لغويا شاعرا مجيدا، وكاتبا من الرعيل الأول أسهم في الحركة الفكرية الإسلامية في النصف الأول من القرن العشرين بنصيب وافر، فكتب في كل ما أثير في عصره في الفكر والبحث وترك للمكتبة العربية زادا ثريا.

كتب في الخلافة، وفي الشعر الجاهلي وفي حكمة الشريعة وفي صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان. فقد كان عالما تفرغ للعلم، لم يشغله عنه شاغل من شواغل الدنيا، أو الجاه والسلطان.[1]

وقد بلغت آثار الشيخ أكثر من عشرين مؤلفا وذلك فضلا عن الرسائل وعددها خمسة عشرة رسالة، وقد توزعت على عدة اختصاصات أبرزها: التفسير، علوم القرآن، التشريع الإسلامي، السيرة والتراجم، التاريخ، علوم اللغة، الأدب والنقد، الرحلات، الشعر، الإصلاح، المجلات...

أ – في علوم القرآن والتفسير

حفظ الإمام محمد الخضر حسين القرآن الكريم، وأجاده لفظا ومعنى منذ صغره، وكثيرا ما كان يلقي دروس التفسير ارتجالا في مذكراته ومسامراته وفي رحلاته المتعددة لمجرد أن يطلب منه تفسير آية، أو معنى كلمة ، ونلمس بوضوح في آثاره العلمية كثرة استشهاده بكتاب الله ، كما وجه الشيخ بالغ عنايته إلى القرآن الكريم دراسة وتحليلا ، كاشفا مواطن فصاحته وإعجازه و متصديا إلى كل من يحاول تحريف آياته والإلحاد بها ، وفي هذا المضمار صدر له أثران قيمان هما :

1- بلاغة القرآن:

جمع هذا الكتاب مجموعة من محاضرات الشيخ التي ألقاها في كلية الأصول بالجامع الأزهر، بالإضافة إلى البحوث والردود والمقالات النقدية التي نشرت في مجلتي الهداية الإسلامية، ولواء الإسلام. ومن أبرز الموضوعات التي جمعت: بلاغة القرآن، نقل معاني القرآن إلى معاني أجنبية، رأي في تفسير القرآن، المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، إعجاز القرآن وبلاغته...

وقد أشرف على جمعه وطبعه علي الرضا الحسيني ابن أخ الشيخ في طبعة أولى، بالمطبعة التعاونية بدمشق سنة 1979 في 216 صفحة، كما ضمن الموسوعة الكاملة للإمام محمد الخضر حسين المجلد الثاني، بدار النوادر، سوريا سنة 2010.

[1] _ علي الرضا الحسيني: **درسات في اللغة للإمام محمد الخضر حسين**، الدار الحسنية للكتاب، تونس، ص49.

2- أسرار التنزيل:

وقد ضم هذا الكتاب آيات من سورة البقرة 1-195، والذي نشره الشيخ في أعداد من مجلة لواء الإسلام بالإضافة إلى دروس التفسير التي ألقاها في بعض النوادي والجمعيات الإسلامية، ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية.

وقد جمع هذا الكتاب وطبعه علي الرضا الحسيني، في مطبعة أولى بدمشق سنة 1976، كما طبع ضمن الموسوعة الكاملة للإمام محمد الخضر حسين المجلد الثاني، بدار النوادر، سنة 2010.

يبين الشيخ محمد الخضر حسين منهجه في التفسير من خلال تعريفه لعلم التفسير، وتحديد موضوعه وأغراضه ، والغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى، مع أن الناس في حاجة شديدة إليه ...[1]

وفي نظر الشيخ أن هذا العلم يبنى على علوم كثيرة شرعية ولغوية. أما الغرض من علم التفسير، فحدد له أمرين أساسيين: فهم معاني القرآن الكريم الممكن استخراج أحكامه، والاستدلال به على صدق النبوة: حيث يقول:أنزل القرآن الكريم لمقصدين ساميين: أولهما:

هداية البشر إلى سبيل السعادة في الحياتين الدنيا والآخرة ، وثانيهما: دلالته على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من الرسالة التي هي مطلع تلك الهداية العامة...[2]

ويعتبر أسرار التنزيل من التفاسير السهلة التي اعتنى فيها صاحبها بالصور البيانية، والمحسنات المعنوية. وابتعد فيه عن ذكر مصطلحات الفنون والتوسع فيما لا يفهمه العامة، وهو يتفق مع تفسير المنار لرشيد رضا، برغم عدم التأثر المباشر بمدرسة المنار .[3]

وهذه الميزة وغيرها جعلته في منهجه المعتدل تفسيرا عصريا ومثاليا بمعنى الكلمة، يعكس بصدق ووضوح توجهات العصر، وحاجة المجتمع الإسلامي المعاصر والمكتبة الإسلامية لهذه النوعية من التفاسير، ومن ثمة بدت علاقاته بمعطيات عصره الثقافية والاجتماعية والسياسية وثيقة جدا.

والمطلع على بعض المواطن من هذا التفسير يلحظ دون عناء أن الشيخ قد جمع في طريق تفسيره بين اتجاهات ثلاث ولم يكن أسير مذهب أو مدرسة. فنجد الاتجاه اللغوي يستند فيه إلى المعجم وعلم النحو

---

[1] _على الرضا الحسيني : **موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر الحسين** ، م2، دار النوادر ،سوريا،2010، ص24.

[2] _ علي الرضا الحسيني : **موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر الحسين** ، مرجع سابق، ص24.

[3] _أنور بن خليفة: **المحاضرات القيمة للإمام محمد الخضر حسين مفسرا**، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام، م 15، ص 193.

وعلم البلاغة، فيتوسع لقبول كل المعاني التي يتحملها اللفظ، ولهذا يشترط على المفسر أن يكون عارفا لعلوم اللغة العربية، وفنون بلاغتها.[1]

كما ركز على المأثور ، فأخذ من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ما يساعد على استخراج المعاني وتقريبها دون إهمال لما خلفه الصحابة والتابعون. اشترط على المفسر: أن يتجه إلى تمحيص الروايات، ولا يعول إلا على ما صحت روايته.[2]

وبين اللغة والمأثور ويظهر الرأي نبراسا يعتمده الشيخ الخضر ، ليستخرج ما توحي به اللغة، وما يكشفه المأثور، إذ لا يمر بآية إلا استحضر رأيه.[3]

ب – في السيرة و التراجم

وقد جمع و طبع علي الرضا الحسيني للإمام كتابين هامين في هذا الفن، هما:

1)محمد رسول الله وخاتم النبيين: والإمام محمد الخضر حسين الذي أتقن علم التفسير وعلوم القرآن قال: طالع كتب التاريخ ، عربية وغير عربية ، وأمعن النظر في أحوال عظماء الرجال ، من مبدأ الخليقة إلى هذا اليوم ، فانك لا تستطيع أن تضع يدك على اسم رجل من أولئك العظماء، وتقص علينا سيرته ومزاياه وأعماله الجليلة، حديثا يضاهي أو يداني ما نحدثك عن هذا الرسول العظيم.[4]

كتب الشيخ رسالة بحجم صغير بعنوان محمد رسول الله وخاتم النبيين[5] ، تحدث فيها عن سيرته صلى الله عليه وسلم بشكل كامل وموجز، وله بحوث أخرى من سيرته صلى الله عليه وسلم، كما له ردود يفند بها مزاعم الضالين والمبطلين الذين تحدثوا في السيرة النبوية عن غواية وإفساد وزيغ عن العقيدة.

ضمت هذه الرسالة والبحوث ، والمقالات والمحاضرات التي كتبها أو ألقاها الشيخ في مناسبات دينية عديدة وطبعت في كتاب. ولم يحيط مجموع هذا الكتاب بكامل السيرة النبوية الزاخرة ، وإنما تناول جانبا من السيرة الشريفة في مقالات عن: رفقة، وحكمته في السياسة، وسيرته في الناس، وصبره ومتانة عزمه، وبلاغته، وشجاعته، ورجاحة عقله آداب خطبه، وهجرته ، وإبادته للأصنام ، ودعوته، وقضائه على المزاعم الباطلة، وعظمته...[6]

---

[1]_على الرضا الحسينى :موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين ، مرجع سابق،ص194. ، 194.

[2]_المرجع نفسه: ص 26.

[3]_أنور بن خليفة: **المحاضرات القيمة للإمام محمد الخضر حسين مفسرا**، المرجع السابق، ص 194.

[4]_عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص105.

[5]_ عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، المرجع السابق، ص107.

[6]_ علي الرضا الحسيني : **موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر الحسين** ، مرجع سابق، ص43.

2)تراجم الرجال: ضم هذا الكتاب تراجم لإعلام كتبها الشيخ في مجلتي :

3)الهداية الإسلامية ، ونور الإسلام ، كما ألقى بعضها في صورة محاضرات، ورتبها جميعها تبعا للتسلسل التاريخي لولادة المترجم لهم، وعددهم أربعة عشر علما من كبار الشخصيات كالخلفاء، والقادة ، والأئمة والفقهاء والمحدثين والأدباء و غيرهم. وختم بترجمة أحد المثقفين المصريين المعاصرين وهو أحمد تيمور، وصف فيها خصاله وفضله وعلمه.

ويرمي الشيخ من هذه التراجم إلى تعريف الشباب المسلم بعظمة الرجال الذين يترجم لهم، فقال في خاتمة ترجمة علي زين العابدين: هذه صحيفة من سيرة رجل من عظماء آل البيت، نعرضها على حضرتكم، وسيرة العظماء عظة وأسوة بأولي الألباب. [1] وفي ترجمته للخليفة عمر بن عبد العزيز يتجه إلى الشباب قائلا: إن من الأسباب التي جعلت كثيرا من شبابنا يسرفون في إكبار رجال أوروبا ، ولا يعرفون رؤوسهم فخرا بعظماء الشرق: أنهم لم يدرسوا تاريخ علمائنا بعناية وروية وإنصاف.[2]

كما وظف الشيخ هذه التراجم تبحث دعوته الإصلاحية في الأخلاق و الدين و السياسة و المعرفة، لعل الناس – وخاصة الشباب والحكام – أن يكون لهم هؤلاء الأعلام قدوة ومثلا أعلى ولذلك ختم ترجمته للخليفة عمر بن عبد العزيز بما يدل على ذلك : هذه محادثه أخذنا فيها بطرف من سيرة رجل من أعظم رجال الإسلام ،عسى ان يكون موضع قدوة لكل من تولى أمرا من أمور المسلمين وأراد أن يكون له لسان صدق في الآخرين .

وفي ترجمته للعلامة احمد تيمور أكد عرضه هذا : وإنما كلمة اصف بها جانبا من خصاله الحميدة ، عسى أن يكون في إلقاءها تذكرة لطلاب الفضيلة من أبناءنا الناهضين[3] .

وللشيخ منهج دقيق في نقل الأخبار وتحليلها، بيّنه في ترجمة الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه فعوّل في هذا على أقوال المحدثين، والمحققين من المؤرخين، وقد ميز الشيخ بين المحدثين في رواياتهم والمؤرخين في أخبارهم، فرد كل التهم التي وجهها الثائرون على الإمام عثمان على طريقة أهل الحديث في توثيق أخبار الفتنة وهو يعتمد في هذا على أبي بكر العربي في كتابه العواصم من القواسم[4]، ومنهج المتأخرين يشتد في رواية الأحداث الخطيرة، كالفتن التي تحيط بها الأهواء والعصبيات، فيحتاط في نقد

---

[1] _ عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، المرجع السابق، ص120.

[2] _المرجع نفسه: ص122.

[3] _ الطالبي عمار : **الامام الشيخ محمد الخضر حسين و منهجه في التراجم** ، الأعمال الكاملة للإمام م15 ، ص55.

[4] _الطالبي عمار، **الامام محمد الخضر حسين ومنهجه في التراجم**، مرجع سابق، ص 54.

المصادر المتعلقة بها، وكذلك الروايات التي لها صلة بالعقائد أو الفتن فيطبقون قواعد نقد الحديث وروايته. وهذا المنهج الصارم ليس بعيدا عما وضعه الغربيون في نقد التاريخ. [1]

ج – في الشريعة وأصولها

أولا: في العلوم اللغة العربية: من العلوم التي حرص الإمام على توجيه العناية الفائقة لها: علوم اللغة العربية، فقد بدأ حياته العلمية بدراستها وإتقانها، فصال وجال في ميادينها الشاسعة وحاز فيها على قصب السبق بكل جهد وأمانة، ومن أوائل بحوثه اللغوية في تونس : محاضرته حياة اللغة العربية ، والتي ألقاها في الجمعية الصادقية سنة 1909، وقد تناول فيها: دلالة الألفاظ ، وتأثير اللغة في الهيئة الاجتماعية وأطوار اللغة ، وفصاحة مفرداتها ، واتساعها...

وبعد هجرته إلى دمشق وقع تعيين الشيخ عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي، منذ جويلية 1919، واستمر في عضويته بد انتقاله إلى القاهرة وبقي عضوا مراسلا فيه، وفي القاهرة عين عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية منذ تأسيسه، وشارك في لجانه: اللهجات، الآداب والفنون، المعجم الوسيط، الأعلام الجغرافية، كما قدم بحوثا نشرت في مجلة المجمع من مقالات ومحاضرات وردود وتعليقات. ومن ابرز عطائه اللغوي المتميز بحثه: القياس في اللغة العربية الذي نشر تباعا بمجلة المنار في سنة 1922 ،وهو نفس البحث الذي نال به عضوية كبار علماء بالجامع الأزهر سنة 1950.

وقد جمع علي الرضا الحسيني لغويات الشيخ في كتابين مطبوعين هما:

ثانيا: دراسات في اللغة العربية و تاريخها: وقد طبع الطبعة الأولى في دمشق سنة 1960، كما طبع ضمن الموسوعة الكاملة للإمام محمد الخضر حسين المجلد السادس، بدار النوادر، سنة 2010

وجمع هذا الكتاب أبحاثا طبعت أول مرة في كتيبات منفردة و هي.:

– القياس في اللغة العربية: طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة 1924 في 124 صفحة

– الامتناع بما يتوقف تأنيثه على السماع.:

كما جمع بحوثا وردودا أخري، نشرت في مجلة الهادية الإسلامية و هي:

– الاستشهاد بالحديث الشريف في اللغة: بحث قدم إلى مجمع القاهرة و نشر في مجلته ع3

– موضوع علم النحو: و هو و نقد لكتاب الحياء النحو، للأستاذ إبراهيم مصطفي

– التضمين: بحث ألقاه الشيخ في مجمع اللغة العربية.

– حول تبسيط قواعد النحو و الصرف والرد عليها

[1] _ علي الرضا الحسيني: **القياس في اللغة العربية**، ط3، الدار الحسنية للكتاب، تونس، 1994، ص13.

– قواعد النحو و الصرف و البلاغة.

– طرق وضع المصطلحات الطبية و توحيدها في البلاد العربية: بحث قدمه الشيخ إلى المؤتمر

– الطبي العربي المنعقد بالقاهرة سنة 1939 ممثلا عن المجمع.

– تيسير وضع مصطلحات الألوان: بحث قدمه الشيخ إلى المؤتمر الطبي العربي الثالث بالقاهرة سنة 1940 ممثلا عن المجمع.

ثالثا: دراسات في اللغة: طبع أول مرة بدمشق سنة 1975، كما طبع ضمن الموسوعة الكاملة للإمام محمد حسين المجلد السادس، بدار النوادر، سنة 2010.

وقد ضم هذا الكتاب مجموعة أخري و متممة من الأبحاث اللغوية و المقترحات و النقد، معظمها مقدمة لمجمع اللغة العربية، نشرت في مجلته، وبعضها نشر في مجلة الهداية. و من أبرزها :

– المجاز و النقل وأثرهما في حياة اللغة العربية.

– من وثق من عملاء اللغة و من وثق فيه.

– اللهجات العربية في هذا العصر.

– اسم المصدر في المعاجم.

– شرح قرارات المجمع والاحتجاج لها تكملة مادة لغوية ورد بعضها في المجمعات و لم برد بقيتها.

– نقد اقتراح بعض الإصلاح في منن اللغة.

– الألفاظ المؤنثة من طريق السماع[1].

[1] _ علي الرضا الحسيني: **القياس في اللغة العربية**، مرجع سابق، ص ص 84،85.

الفصل الثالث
الخضر حسين وفكره الإصلاحي

المبحث الأول: في الميدان السياسي.

المبحث الثاني: في الميدان الاجتماعي.

المبحث الثالث: في الميدان الثقافي.

المبحث الأول : فكره الإصلاحي في الجانب السياسي

إن للدعوة إلى إصلاح المجتمع أثر كبير في فلاح الأمم، وتسابقها في مضمار الحياة الزاهرة وهذا ما يجعلها بالمكانة السامية في نظر الشارع الحكيم وقد ألقى عليها الاسلام عناية شديدة فعهد الى الأمة بان تقوم طائفة منها على الدعوة الى الخير واسداء النصيحة الى الافراد والجماعات قال الله تعالى: « وتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون »[1]

فالدعوة الى الاصلاح لا تقتصر على الخطب والمحاضرات بل تتعدى ذلك ، فالمجلات والصحف لكي تكون ذات شمولية أوسع فأسس الخضر حسين أول مجلة صدرت بتونس عام 1904م وهي مجلة "السعادة العظمى" ، وهي مجلة نصف شهرية وتتابعت الى احدى وعشرين عدد قرابة العام. [2]

صدر العدد الأول من مجلة السعادة العظمى في 17 محرم 1322 في أفريل 1904 من صفحات لا تتعدى 13صفحة وما إن اصدرت حتى استقبلها أهل العلم والأدب بحفاوة تتناسب والمكانة العلمية المرموقة التي يتمتع بها صاحبها لدى كافة الأوساط الفكرية سواء في العالم الاسلامي أو في مكان صدورها بتونس وخاصة في جامع الزيتونة أكبر معاهد الاسلام في المغرب العربي.

كانت هذه المجلة مركزا مركزا للحركة الفكرية وقوة توجيه متصلة بجميع أهل الثقافة العربية ولا شك ان هذه المجلة العربية الأولى لتونس تمثل وثيقة هامة من الوثائق التي تجدر الرجوع عند دراسة الحركة الفكرية والاجتماعية بالبلاد التونسية بذلك العهد.

فالمجلة أبدت حركة المصلحين فكان ظهور "السعادة العظمى" في معمعة تلك الخلافات كطلوع الحكم العادل ، تنزهت به المجادلات عن الفحش تطهرت من الهمز واللمز وتسامت عن التشهير والأذى الشخصي ، فإستقبلها المجددون فقد عارضت صبأة النظارة العلمية بالجامع الأعظم في صدورها وطالبت الحكومة بتعطيلها واجتهد صاحبها لأنها ترفع كلمة الحق وتعالج المجتمع على الطريق الصواب (الدين الإسلامي).[3]

ولم يكتفي الخضر حسين بمواقفه ضد الاستعمار محاربة بقلمه وفكره وعلمه وخاصة ما أصدره في مجلة "الهداية الإسلامية" التي كان شأنها شأن كل المجلات الحرة الكريمة التي لا تميل مع الهوى ولا تفتح

---

[1]_علي الرضا الحسيني: **الدعوة الى الاصلاح للامام محمد الخضر حسين**، الدار الحسنية للكتاب، تونس، 1994، ص 13.

[2]_أبو القاسم محمد كروا: **أعلامنا(محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر سابقا) دراسة مختارات**، ط1،دار المغرب العربي ، تونس، 1973، ص6.

[3]_على الرضا الحسينى : **السعادة العظمى 1322**، تحقيق علي الرضا الحسيني، الشركة التونسية للتثقيف والترفيه، تونس، 1985،ص 14.

صدرها لأي ناعق، لم تنطق باسم حاكم يمولها أو حزب تحقق أغراضه. بل التزمت بمبادئها السامية وطريها القويم واعتمدت على دخلها الحلال الشريف من الاشتراكات والمساعدات البسيطة الخالية من كل شائبة.

اختصت مجلة الهداية الإسلامية في جهادها الإسلامي والعلمي ما يزيد عن ربع قرن قرابة ثلاثة عشر سنة بكل ثبات وجرأة ولم تتوقف عند تولية الإمام مشيخة الأزهر.[1]

شاءت الأقدار ان يمتحن الشيخ الخضر حسين في حباية العلمية والسياسية بفتنة ضارية أثارها كتاب "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرزاق وفي الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين وكان الشيخ أول من اعتمد على الحجة والاستدلال الواضح.

الكتاب الأول ظهر سنة 1926م وأثار ضجة كبيرة في مصر وتباينت الأقلام بين الهجوم عليه والدفاع عنه، وقد صدم هذا الكتاب الرأي العام المسلم حيث زعم أن الإسلام ليس دين حكم، وأنكروا وجوب الخلافة الإسلامية، ثقي بوجود دليل عليهما في الكتاب والسنة وكانت الصدمة أن يكون مؤلف هذا الكتاب عالما من علماء الزهر.

وقد تفحص الشيخ الخضر حسين لتقييد دعاوي الكتاب وأصدر كتاب "نقض كتاب علي عبد الرزاق" النقائص الواردة فيها جملة وتفصيلا –فكشف الخضر حسين عن علم غزير وإحاطة متمكنة في الفقه وأصوله ومعرفة واسعة بالتاريخ الإسلامي ورجاله وحوادثه.

أما الكتاب الثاني سنة 1927م وأحدث ضجة هائلة حيث شك واحتقر الدكتور طه حسين بكل قديم دون في صحف الأدب فيما يعد الشعر الجاهلي إنما هو مختلف ومنقول.[2]

ولم يكتف بهذه الغربة فجاهر بالهجوم على المقدسات الدينية حيث قال: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ولن هذا لا يكفي للإثبات وجودهما التاريخي".

وقد أثيرت أقلام غيورة لتقييد ما جاء في كتاب الشعر الجاهلي من أمثال الرافعي و العمراوي ومحمد فريد وجدي، ومحمد الخضر حسين الذي ألف كتابا شافيا في الرد على طه حسين وكتابه بعنوان "نقض كتاب في الشعر الجاهلي" عندما جاء فيه وأرقام الأدلة على أصالة الشعر الجاهلي وكشف عن مجافاة طه حسين للحق، واعتماده على ما كتبه المستشرق الانجليزي مرحليون دون أن يذكر ذلك.[3]

---

[1]_على الرضا الحسيني : **مجلة الهداية الاسلامية**، مرجع سابق، ص85.

[2]_محمد الأمين بلغيث : **العلامة شيخ الازهر محمد الخضر حسين** ، المجلة الخلدونية ، عدد خاص، ديسمبر 2010، ص69.

[3]_على الرضا الحسيني : **مجلة الهداية الاسلامية**، المرجع السابق، ص30.

اتجه الشيخ إلى تأسيس الجمعيات الإسلامية فاشترك مع جماعة من التورين على الإسلام سنة (1346هـ:1928م) في انتشار جمعية الشبان المسلمين ووضع لائحتها الأولى مع صديقه محي الدين الخطيب. وقامت الجمعية بنشر مبادئ الإسلام والدفاع عن قيمته الخالصة ومحاربة الاتحاد العالمي ولا تزال هذه الجمعية بفروعها المختلفة تؤدي بعضا من رسالتها القديمة.

والى جانب هذا النشاط الوافر تولى رياسة تحرير مجلة "نور الإسلام" –الأزهر– التي أصدرها الأزهر في محرم 1349هـ–1931م ودامت رئاسته لها ثلاثة أعوام، كما تولى رئاسة تحرير مجلة لواء الإسلام سنة 1366هـ –1946م وتحمل إلى جانب هذا أعباء التدريس بكلية أصول الدين فالتقى حوله الطلاب وأفادوا من علمه الغزير وثقافته الواسعة– وعندما انشأ مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (1350هـ–1932م) كان من الرعيل الأول الذين اكتسبوا العضوية.[1]

ولتاريخ نقول أن الشيخ محمد الخضر حسين كان من دعاة استقلال تونس في مرحلة لما كان عليه الشيخ صالح الشريف الجزائري ورف[2]يقه في الكفاح المسلح اسماعيل الصالحي وهذا الموقف السياسي يحسب للخضر حسين.

كما دعا العلامة الخضر الحسين إلى الجهاد إلى جهاد في ليبيا عندما أعلنت ايطاليا الحرب على ليبيا المحكومة من طرف الأتراك وكانت الحركات الوطنية والدينية في جميع البلاد العربية ذات صلة أو نزعة تميل إلى الخلافة وكانت تونس في هذا العهد فقد شعرت بواجبها نحو جارتها الشقيقة ليبيا فهبت لمساندة المجاهدين الطرابلسيين بالقول والعمل وبالمتطوعين.

ورغم أن الشيخ الخضر لم يكن منخرطا في أي تشكيل حزبي فانه بنزعته الاسلامية وما تمليه في نفسه من حب للحرية ، فساندهم بشتى الطرق ومن ذلك القصيدة المطولة التي نشرها والتي حث فيها المواطنين على مساندة الجهاد الليبي، بل دعاهم هم بدورهم بعمل مماثل في بلادهم، ومطلع هذه القصيدة كان وحدة الدلالة على هذه الأفكار إذ يقول فيه:

دار على مجدنا الذكر الذي ذهبا يكفي مضاجعنا نوما دها حقبا [3]

والتاريخ أيضا نقول أن الحضر حسين كان له موقف سياسي إزاء القضية الفلسطينية وإخلال ألمانيا الغربية بحيادها في اتفاقية التعويضات إلى إسرائيل حيث يقول في هذه القضية: لو أن المؤرخين أرادوا أن يؤرخوا

---

[1]_محمد الأمين بلغيث: **العلامة شيخ الازهر محمد الخضر حسين**، المرجع السابق، ص ص 70،71.

[2]_المرجع نفسه: ص ص 72،73.

[3]_أبو القاسم محمد كروا: **أعلامنا (الخضر حسين شيخ الأزهر سابقا)**،مرجع سابق، ص ص 18،19.

أسوا مثل بال قبح حادث أسيء به إلى الإنسانية ومبادئها في القرن العشرين لما وجدوا أبلغ من تاريخ هذا الحادث المروع الذي تألبت فيه بعض دول الغرب وعاونت على إخراج أهل فلسطين الشرعيين من بيوتهم وبساتينهم وحقولهم ومتاجرهم ومصانعهم ليدخلوا فيها أقواما من اليهود الغرباء الذين كانوا أشتاتا في مختلف أقطار الشرق والغرب ويقول : يجب أن تعلم ألمانيا الغربية أن مساعدتها لإسرائيل ستخل بالتوازن الحالي في الشرق الأدنى. ومكّن إسرائيل من القيام بعدوان جديد على البلاد العربية بينما الذين يدعون أنهم أوصياء على السلام العام واقفون يتفرجون على هذه المهزلة التي لم يسبق لها نظير[1]

مشيخة الأزهر:نال الشيخ عضوية كبار العلماء برسالته القيمة " القياس في اللغة العربية" سنة 1950م. ثم لم يتلبث أن وقع عليه الاختيار شيخا للجامع الأزهر في 26 ذي الحجة 1371هـ–16سبتمبر 1952م وكان الإختيار مفاجئا له. فلم يكن يتوقعه او ينتظره بعدما كبر في السن وضعفت صحته ،لكن مشيئة الله أبت إلا أن يكرم احد المناضلين في ميادين الإصلاح.

مشيخة الأزهر: نال الشيخ عضوية كبار العلماء برسالته القيمة "القياس في اللغة العربية سنة 1950م. ثم لم يلبث أن وقع عليه الاختيار شيخا للجامع الأزهر في 26 ذي الحجة 1371 هـ: 16 سبتمبر 1952م وكان الاختيار مفاجئا له. فلم يكن يتوقعه أو ينتظره بعد ما كبر في السن وضعفت صحته، لكن مشيئة الله أبت إلا أن يكرم أحد المناضلين في ميادين الإصلاح. حيث اعتلى أكبر منصب ديني في العالم الاسلامي.

وكان في زمن الشيخ حين ولي المنصب الكبير ورسي إلى بعث النهضة في مؤسسة الأزهر، وبرامج الاصلاح ولكنه لم يتمكن من ذلك ولم تساعده صحته على مغالبة العقبات. ثم لم يلبث أن قدم استقالته احتجاجا على اندماج القضاء الشرعي في القضاء الأهلي. وكان من رأيه أن العكس هو الصحيح. فيجب اندماج القضاء الأهلي في القضاء الشرعي لأن الشريعة الاسلامية ينبغي أن تكون المصدر الأساسي للتشريع.

وكانت استقالته في (02 جمادى الأولى 1372 هـ: 7 يناير 1954م) ويذكر له أثناء توليه مشيخة الأزهر قولته :"إن الأزهر أمانة في عنقي أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة وإذ لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدي، فلا أقل من لا يحصل له نقص".

وكان كثيرا ما يردد :"يكفيني كوب لبن وكسرة خبز وعلي الدنيا بعدها العفاء"[2]

---

[1] _ علي الرضا الحسيني : **أحاديث في رحاب الأزهر للإمام محمد الخضر حسين**، الدار الحسنينية ، تونس، 1994، ص 21.

[2] _ محمد الأمين بلغيث : **العلامة شيخ الازهر محمد الخضر حسين**، مرجع سابق، ص70 .

اهتمامات الشيخ الخضر حسين المغاربية:

تعود اهتماماته بقضايا الشرق ومساهمته بعض أعلام الجزائر أو ممن ارتبطوا بالقضية إلى سنوات خلت، فقد نشرت دراسة وثائقية مطولة حول العلامة "ابن باديس" وتحدث فيها فيقول حاولت أن أتعرف على فهم العلامة ابن باديس للعلل والأدوية التي تحيط بمجتمعه الجزائري حيث يقول العلامة الخضر حسين عند زيارته إلى الجزائر وفي الجزائر لقيت من أهلها وعلمائها ترحيبا وصدى لنزعتي الدينية الاسلامية فطفت بعدد من المدن الجزائرية وألقيت فيها العديد من المحاظرات والدروس الدينية ثم عدت إلى تونس، فكانت هذه الرحلة بداية جديدة لحياة جديدة شرع الشيخ الخضر في بنائها لنفسه ولأفكاره وميوله وإصلاحه.[1]

وكانت مشاركة الخضر حسين والشاذلي المكي واضحة نظرا لمكانتهما بالوسط القاهري حول الوثيقة الأساسية لتكوين جبهة بمصر لمواجهة الاستعمار الفرنسي بالمغرب العربي ومن بين المناطق التي لقيت اهتماما خاصا من طرف العلامة شيخ الأزهر محمد الخضر حسين في مرحلة مبكرة مدينة تبسة.

فكانت تبسة مدينة محظوظة إذ شملها بريد الشرق الوارد من القاهرة وتونس كما تشرفت بمساعدة أدبية وعلمية قيمة على زيارة شيخ الأزهر محمد الخضر حسين الذي كان يرسل إليها الجرائد والمجلات والكتب الترابية، كما أوحت له ظروف الشرق بأن يساهم كما المجاوي، ومحمد عبدو ومدرسة المنار للشيخ رشيد رضا بالدعوة إلى النهضة ومحاربة الجمود الفكري والإصلاح التربوي.[2]

وقد ظل الشيخ دائما يدافع عن المغرب العربي ويشيد برجال العلم وكفاح أبنائه بل يفاخر الشرق لهم أحيانا. كما كان يحمل الشرق مسؤوليته وعدم مناصرته العملية للحركات التحريرية في أقطار المغرب العربي مما يؤدي ببعضها إلى الفشل.

ففي 1947 كان قد استقبل الشيخ الخضر حسين عبد الكريم الخطابي معلن الثورة في المغرب وأقنعه بطلب اللجوء إلى مصر والفرار من المضايقات الفرنسية.

يصف الشيخ الخضر حسين بطولات الأمير عبد الكريم باعتباره مثلا من بطولات المغرب العربي.

قلت لشرق وقد قام علي قد يعرض أرباب المزيا

أراني طلعة شهر يتقضى سيفه النصب ولا يخشى المنايا

فأراني يطل الريف الذي لحر الأعداء فأرتدوا خزيا

---

[1] _أبو القاسم محمد كروا: **محمد الخضر حسين شيخ الأزهر سابقا دراسة مختارات**، مرجع سابق، ص19.

[2] _ محمد الأمين بلغيث : **العلامة شيخ الازهر محمد الخضر حسين**، مرجع سابق، ص ص72، 73.

المبحث الثاني : فكره الإصلاحي في الجانب الاجتماعي

حاول العلامة الخضر حسين اصلاح المجتمع من خلال محاولة البدع والخرافات التي انتشرت في المجتمع حيث يرى أن البدعة هي ضلالة وهذه الضلالة لعبت بعقول طائفة لن يتبحروا في قواعد الدين وآلت بهم إلى التوسع في دائرته باختراع الأحكام على قالب أغراضهم.[1]

كما دعا الخضر حسين إلى الخلق الرفيع "الحياء" ويقول فيه: هذا الخلق إذا غرز في النفس ونمت عروقه فيها إزداد رونقها صفاء ونقص على الظاهر صاحبها مآثر خيرات حسان وإذا انتزع من شخص فقد المروءة وثكل الديانة التي هي جناح المبلغ لكل كمال والدليل ما نقوله أن الحياء عبارة عن انقباض النفس عما تذم عليه ويقول الخضر في الحياء:

وفي النفس رثت حيالك واصل وما الدهر من أهل الكمال معطل

فكن حازما فالخلق سقط وفاضل وفي الأرض عن دار القلي متحول

فالحياء شعبة من شعب الايمان والأمة التي فقدت الحياء فقدت عزتها وكرامتها فالأمة الحية هي الأمة التي تستحي.

ودعا الخضر حسين إلى التعاون والتعاضد فالتعاون شرعا يتمخض منه استجلاب المنفعة وازالة الضرر اللاحق.

فالتعاون في الدين في هذا العصر أن ينهض المسلمون بنهضة صادقة فيبسطوا أيديهم بالعمل والبذل في سبيل إنشاء مدارس ومستشفيات وملاجئ تفي عن تلك المباني المفتوحة لإغواء الغافلين، ومن التعاون على حفظ الدين أن نشط العلماء للارشاد، فيطلقوا ألسنتهم وأقلامهم في نصح من في قلوبهم بقية خير بأن لا يرسلوا أبناءهم إلى تلك المدارس التي لو غفل عنها الناس اليوم غفلتها عنها بالأمس لطوي بساط الدين طي السجل للكتاب.[2]

فالتعاون بين افراد المجتمع الواحد مشروط بتقدم الامم وطفوتها الى اعلى المراتب .

كما دعى الخضر حسين لى التسامح بين افراد المجتمع حيث يقول: ان الاسلام اول من بين للبشر كيف تتحد الامم المتباينة في عللها المختلفة وفي شرائعها وتستقيم لهم الاقامة في وطن واحد، بحيث يتمتع بكل بحقوقه

---

[1] _ على الرضا الحسينى: **السعادة العظمى 1322**، مرجع سابق، ص65 .

[2] _علي الرضا الحسيني: **من أقوال الإمام محمد الخضر حسين**، الدار الحسنية للكتاب، تونس، 1996، ص136 .

المدنية وشعائره الدينية فالتسامح يقضي على العديد من الآفات الاجتماعية كالكره والحقد والبغضاء ويولد الالفة والصفاء والنقاء في ابناء الجلدة الواحدة فيغرس في النفوس التطور وتقدم الامم.

يحث الخضر حسين على احترام الافكار فيقول: من اكبر الأسباب في تقدم الامة وعلومها، وتوليها لرتبة التنوير، وآهلها يجب ان تشب على احترام الآراء على الوجه الذي وصفناه من قبل وكلما ابتعدت الامة عن عدم احترام الافكار هوت وذلت الى الحضيض.

كما عالج الخضر حسين مسالة ممارسة المرأة للسياسة من الناحية الاجتماعية فيقول" درء المفاسد المترتبة على ذلك مقدم على ما فيه من مصالح" وان المصلحة العامة تتماشى دائما والحقيقة الانسانية فان لم تجد الشريعة للمرأة ان تمارس حقا من الحقوق السياسية فإنما قصدت بذلك الخير الشامل للمجتمع الانساني، فان وطبيعة المرأة الاولى ان تكون اماً وان تكون ربة بيت وقد يتيح ان تمارس الوظائف التي تتماشى مع طبيعتها: فاذا هي ارادت ان تتخذها فإنها تكون قد خرجت عن الطريق التي رسمت لها والتي يتفق مع طبيعة تكوينها وفي هذه مضرة بالمجتمع وشرا بالإنسانية الجمعاء ويجب ان تتكاثف الى دفعه والله الموقف.

كما دعي الخضر حسين الى اصلاح المجتمع بالعلم وملازمة الاخلاق الفاضلة ويرى العلامة الخضر ان العلم اذا لم تلازمه الفضائل الخلقية والخوف من الله والحرص على مرضاته انه يكون حينئذ كسلاح في ايدي من لا يحيز القانون ان يكو لفي ايديهم بل من هنا تولدت الحاجة العظمى اليوم الى التطهير والاصلاح ما دمنا نحن عليه.

وان سوء الاخلاق الذي هو علة اختلال النظام نشا في زيغ العقيدة تارة ومن طغيان الشهوات تارة اخرى فان الاسلام دين ينير العقول بالحجة ويهذب النفوس بالحكمة، وبفضل الاعلم والاخلاق الرفيعة يسمو المجتمع الى التقدم والرقي[1].

كما حارب الخضر حسين من خلال فكره الاصلاحي الاجتماعي احتكار الربح الفاحش وان هذا الكسب هو كسب خبيث لا يباركه الله عز وجل ولا يرضى عن صاحبه ويرى ان استغلال المحتكرين لضروريات الناس يعم ضرار على المجتمع كما دعا الخضر حسين الى الإيخاء والتفاف المسلمين حول بعضهم البعض لان في الإيخاء قوة وان الانسانية في بداية تكوينها كانت اسرة واحدة تتعاون مع بعضها البعض وتتراحم فيما بينها، ثم تكاثرت واتسعت فظهرت عليها العصابات والاختلافات فقد جاءت رسالة الاسلام ترفع كلمتين " الحق والخير" باسطا مبسوطة الى الامم ولا فرق بين اصفر واحمر وابيض واسود الا بالتقوى وروح الاسلام

[1] _علي الرضا الحسيني: **من أقوال الإمام محمد الخضر حسين**، المرجع السابق، ص ص 138، 139.

يدعو الخضر حسين الى عدم التقليد الاعمى لمحاكات الغرب لان ديننا يأمرنا ان نكون امة قوية بأخلاقها وقوية بعلومها النافعة وصناعاتها التي عليها العمران وقوية باستعدادها العسكري للدفاع وفي اي لحظة عن كل ما لنا من حقوق مما نؤمن به من حقائق، فالأخذ بأسباب القوة من جميع هذه النواحي والاضطلاع بالعلوم اللازمة له من طبيعة وكيمياء وميكانيك ورياضة واقتصاد واحصاء فرض على المسلمين واصبح ذلك واجب عليهم.

وما ينبغي لنا في هذه الامور ان لا نقتصر على المحاكات والتقليد بل وجب ان نعد الاذكياء من ابنائنا وشبابنا والتقدم فيها، حتى يكونوا من ائمتها المبتكرين وعلمائها المخترعين وقد وهبهم الله من الذكاء والدهاء وعظيم الاستعداد ما يساعدهم على ذلك في سنوات قريبة ان شاء الله وهذا هو الجد وبهذا تتم نهضتهم فتأخذ في طريق الفلاح وتبلغ مقام الامام في العلوم[1].

حارب الخضر حسين الآفات الموجودة والمنتشرة في المجتمع ومنها المحسوبية واستدل بذلك عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المرأة المخزومية التي سرقت وخاطب اسامة بن زيد ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لإسقاط الحد عنها فقال صلى الله عليه وسلم:" اتشفع في حد من حدود الله" ثم اتى الى المسجد فخطب خطبته المشهورة التي قال فيها:" ايها الناس انما اهلكم من قبلكم انه كانوا ذا سرق الشريف فيهم تركوه واذا سرق الضعيف فيهم اقاموا عليه الحد ولو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها".

ومن هذا الينبوع اخذ امير المؤمنين عمر بن الخطاب المبدأ الاسلامي العظيم الذي قرره في رسالته الى موسى الاشعري لما ولاه على البصرة فقال له فيها:" اسس بين الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف في.... ولا ييأس ضعيف في عدلك".

ويقول الخضر حسين ان التاريخ يشهد ان السلطان "بايزيد" حضر الى المحكمة بين يدي شمس الدين محمد بن حمزة قاضي القسطنطينية يشهد في قضية رفعت عليه فما كان من القاضي الا ان رد شهادة السلطان ولم يقبلها ولما سأله السلطان عن وجهه ردها قائلا له :" انك تارك الصلاة مع الجماعة" فبنى السلطان في الحال جامعا امام قصره وعين لنفسه موضعا فيه ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك فالمسلم الذي يؤمره اسلامه برد شهادة لسبب من الاسباب ويرد شهادته على انه صاحب السلطان المطلق عليه لا شك انه ذو دين قدر به اهله على اقامة الحق بكل الظروف، وعليه فان المحسوبية ظاهرة كافحها الاسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه

[1] _ محمد الخضر حسين: **السعادة العظمى 1322**، مرجع سابق، ص65.

وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدون ويجب علينا نحن كمصلحين لهذه الامة محاربتها بكل السبل والحد ولو بالجزء القليل منها[1].

كما دعا الخضر حسين الى اصلاح المجتمع من خلال (المساواة) لان الله خلق الناس بحسب فطرتهم متمثلين، وكذلك ولدتهم امهاتهم احرار متكافئين، ولكن دخولهم الى ملامح الحياة الاجتماعية ينزع عنهم لباس التماثل والتساوي ويرفع بعضهم فوق بعضهم درجات ، وقد جمع هذه الاطوار الثلاثة قوله تعالى:" يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارف وان اكرمكم عند الله اتقاكم"، فالمشورة والمساواة بين الناس وتكافؤ الفرص على اساس الكفاءة يضمن الأمن ويعم السلام في الأمة .

كما عالج الخضر حسين اثار الاستبداد فيقول:" اذا انتشر في الدولة مخالب الاستبداد نزلت على شامخ عزها لا محال واشرفت على الحضيض و التلاشي والفناء، اذ لا غنى للحكومة عن رجال تستضيئ بآرائهم في مشكلتها، واخرون تثق بكفاءاتهم وعدالتهم ، والارض التي انصهرت فيها ضلال الحرية انما تأوي الضعفاء والسفلة ولا تنبت العظماء من الرجال الا في القليل فلا يمكن ان يتألف اعضاء الحكومة واعوانها ومن اناس يخادعونها ولا يبذلون لها النصيحة في اعمالهم واخرين في اضفاء الجهالة، ويديرون امورها على يد ما تدركه ابصارهم وهذا هو السبب الوحيد لسقوط الامة غلا تلبث ان تلحقها دول اخرى وتبقى في قبضة قهرها ذلك جزاء الظالمين.

ويمكن ان نقول ان العلامة الشيخ الخضر حسين حاول اصلاح المجتمع وفقا لديننا الاسلامي وشريعتنا السمحاء وعالج العديد من المواضيع الاجتماعية الحساسة والهامة في المجتمع بتعاليم الشريعة الاسلامية ليرشد امتنا الى الطريق السليم والمستقيم.

[1] _علي الرضا الحسيني: **من أقوال الإمام محمد الخضر حسين**، مرجع سابق، ص136.

المبحث الثالث : فكره الاصلاحي في الجانب الثقافي

الخضر حسين لم يقصر فكره الاصلاحي على الجانب السياسي فقط بل تتعدى ذلك بالنظر الى قضايا المجتمع واحواله، وانعكس كلا الجانبين على الجانب الثقافي بصورة الية وباعتبار اللغة العربية اداة ووسيلة للتخاطب حاول الخضر التركيز عليها لإبراز مدى اهميتها في التواصل وتنوير الشعوب فيقول الخضر في اللغة:" هي أصواة يعبر بها كل قوم عن اغراضهم، وهي مزية عرف بها الانسان ولم يعرف البشر امة ليس لها لسان تعبر عن حاجتها.[1]

ونظرا لأهمية اللغة العربية كأدات للتواصل والتحاور بين الشعوب حاول الخضر حسين اعطائها الحرص المطلوب لان بفضلها تطرح الافكار.

فاتبع الخضر حسين بطرح القياس في اللغة العربية ويقصد بالقياس: البحث في معاني الالفاظ العربية واحكامها وتهذيبها من الشوائب وابراز جوهرها الحقيقي لكي يأخذ الباحث ما يحتاج من الفاظ ومفردات سليمة وهذا التأثر البليغ في اللغة العربية هو انكاس منذ الطفولة حينما بدا في قول الشعر فكان الخضر حسين شاعرا فحلا بلغ قلمه مشيخة الازهر، فكتب الشعر في العديد من المواضيع، فيقول في الحياء:

فكن حازما فالخلق سقط وفاظل وفي الارض من دار العلا متحول

كما عالج بعض امراضنا الاجتماعية في ديوانه خواطر الحياة:

قالو: دواء قضاتنا قانون بارز وقانون الاه هو الدواء

سيسنى به الاقوام فانتظمت لنا في الشرق والغرب العدالة والدهاء

كما عالج في الزهد الموت فيقول عن الموت:

اطل على الموت من خلل الضنا فعانست وجه الموت غير كئيب

فلا كان من عيش ارى فيه امتي تساس بكفى غاشم وغريب[2]

كما كتب الخضر عن الأخ الصديق في شعره ديوان الخواطر فيقول:

دعتني الى وده فطنة يجيد بها ان سالت الجواب

وما بين برديه الا اخ يؤانسني اذا فقدت الصحاب

اروم عتاب عليه وكم تفرس ما رمته فاصاب

---

[1] _علي الرضا الحسيني: **القياس في اللغة العربية للامام محمد الخضر حسين**،ط3، الدار الحسنية للكتاب، تونس، 1994، ص 12.

[2] _ علي الرضا الحسيني: **من أقوال الإمام محمد الخضر حسين**، مرجع سابق، ص 235.

يهب على وجهه خجل فيصفو ضميري فانسا العتاب

كما كتب الخضر الحسين عن المحبة الصادقة فيقول:

نبات انك موجع فارتاع قلبي وانتفض

ما ضر لو كنت المريض وزال عن خلي المرض

وجع القلوب اشد من وجع الجسوم اذا عرض

ولا ضل الا من يبيت اذا مرضت على مضض[1]

فالخضر حسين عالج العديد من المواضيع عن طريق الشعر لكي يبسط للقارئ والباحث حتى لا يمل وايضا يصبح الباحث يتذوق الشعر من خلاله.

ولم يكتفي الخضر حسين بالتركيز على اللغة فقط بل انم على ثقافة دينية تشع نورا لمكانة صاحبها والعلم الذي يتمتع به بحيث يرى ويجب على المسلم ان يكون على ثقافة دينية وعارف لمبادئ الدين الاسلامي لكي يصبح يفرق بين ما يدعو اليه الدين من الاعتقاد الصحيح والعلم المستقيم وما تأتي التجربة من العلوم حيث يقول الخضر حسين:" انتم اعلم بأمور دنياكم".

حاول الخضر حسين في كتبه في "دراسات في الشريعة الاسلامية " وايضا كتاب " الشريعة الاسلامي صالحة في كل وزمان مكان " ان يعالج بعض القضايا التي تهم المسلم في عقيدته ويعطي لها حلولا توافق المبادئ الاسلامية(في الحقوق الزوجية–الزكاة– التعامل مع غير المسلمين) وكلها قضايا لتهذيب النفوس والرجوع الى العقيدة الصحيحة.[2]

وهذه الثقافة الدينية التي يكتسبها الفرد، لا تكون الا من خلال افكار واحكام تكون مأخوذة من الكتاب والسنة، لا تخرج عن الحقيقة ويقف الانسان اماها راكعا او ساجدا والنظر السليم افادنا بهذا والدليل على ذلك انه اذا ذكر لك الانسان قانونا وضعيا ورأيته موافقا للنضر الصحيح، فانه اما ان يكون وافق القانون الفطري او، ما قرره من احكام مستمدة من المسائل المقررة في مذهب الأئمة المجتهدين [3].

وهذه الافكار والاحكام التي يستوحيها الفرد لا تتضح الا في كتب الحرية دون اي قيد او استعمار، فالحديث عن الحرية والدعوة لها جهارا في ارض تسلط على رقاب ابنائها سيف الاستعمار الرهيب، وفي ظل حكومة

---

[1]_علي الرضا الحسيني، **المرجع السابق**، ص ص 216،217.

[2]_علي الرضا الحسيني: **دراسات في الشريعة الاسلامية للامام محمد الخضر حسين**،ط1، الدار الحسنية للكتاب، تونس،2005، ص 18.

[3]_علي الرضى الحسيني: **المرجع السابق**،ص19.

تفتقر الى الحرية تحت اقدام الغزاة وإرضاء الى مشيئته وترفع اقلام في تلك الفترة تنادي بالحرية لا يقل جرأة عن مجابهة المحتل في ساحات القتال ومقارعته العين بالعين.

والخضر حسين خاض بقلمه ولسانه حربا لا هوادة فيها مع المستعمر ومع اعداء الله طيلة حياته المباركة لم يخشى ان يقف في محاضرة ليغرس في عقول الناس المقهورين حب الحرية فتهب عليهم نسائهم الخاصة، في وقت كان الهمس من وراء الستار في مقومة المحتل.

ويرى الخضر حسين ان الحرية تبنى على قاعدتين عظيمتين: المشورة والمساواة، فبالمشورة تتميز الحقوق وبالمساواة تنظم امورها وكل واحدة من هتين القاعدتين رفع الاسلام سمكها.[1]

وغير بعيد عن الحرية في الإسلام يرى الخضر حسين ان إصلاح المجتمع من الجانب الثقافي يكون إلا من خلال نشر تعاليم الدين الإسلامي والقيم والمبادئ الفاضلة كالتواضع والعزة وكيفية المعاملة بين المسلمين وغير المسلمين، وإرساء مبادئ التربية والأمانة والإخلاص في العلم وسمو الأخلاق وإعلاء كلمة الحق والرفق بالضعفاء والقضاء على الغرور والظلم والحسد.[2]

حيث يرى الخضر حسين في التواضع والعزة ان يقدر الانسان قيمة نفسه فلا يريدها للموارد التي تليق بها والكبر ان يرى الانسان منزلة فوق منزلته فيتراءى في المظاهر يعدها العارفون، وحالة الإعتزار هي اسراف في التقدير: والضعفاء ترجع الى ان ينقص الانسان نفسه حقها ويضعها في مواضع ادنى من ما تستحق. والمتواضع من يعرف قدره ولا يأبى ان يرسل نفسه في وجوه الخير وما تفتضيه حسن المعاشر.

وذا انتشرت هذه الصفاة الحميدة في المجتمع تعطي ابهى محلة في التعامل بين الناس، وهذا ينعكس بطبيعة الحال الى سمو الاخلاق ورفعتها حيث يقول الخضر حسين:" ان من اسباب العاقبة السيئة التي صار اليها كثير من الشعوب الاسلامية انقباض الايدي عن البذل في سبيل الله"، ومن الصفاة التي اثنا عليها الخضر اعلاء كلمة لاحق وما رأى الاسلام مصلحة الا امر بها وما رأى مفسدة الا نهى عنها، فاذا كانت المصلحة عظيمة امر بها على وجه الوجوب، واذا كانت ضئيلة امر بها على وجه الاستحباب، واذا كانت المفسدة عظيمة نهى عنها على وجه الحرمة، واذا كانت قليلة نهى عنها على وجه الكراهة وهذا ما نقرره عند من اسلموا بالحق.[3]

---

[1] _علي الرضا الحسيني: **الحرية في الاسلام للامام محمد الخضر حسين**، ط3.، الدار الحسنية للكتاب، تونس، 1994، ص6.

[2] _علي الرضا الحسيني، **المرجع السابق**، ص74.

[3] _علي الرضا الحسيني: **مرجع سابق**، ص-ص 101-111.

وباعتبار ديننا الحنيف هو دين معاملة، دعى الخضر حسين للرفق بالضعفاء فيقول: " اخبرت وانا في المانيا ان هناك جمعية خيرية ترسل في البريد الى المحتاجين المعونة، من غير ان يعلموا من اين جاءتهم وهذا العمل وجد في جزيرة العرب وديننا الحنيف قد اوصى به قبل ما يزيد عن الف سنة، فقد جاء في تاريخ اهل الجيزة انه كان يرسل المعونة الى المحتاجين من غير ان يعرفوه فلما مات انقطعت عنهم المعونة، عرفوا بانه هو الذي كان يرسل المعونة.[1]

والرفق بالضعفاء من تعاليم ديننا الحنيف حيث يقول صلى الله عليه وسلم:" لا تعلم يمينك بما تقدمه شمالك" وباعتبار ان الضعفاء في مجتمعنا هم امانة في عنقنا وهذا عقيدتنا فلم يستثني الخضر حسين الامانة في العلم فيرى ان فلاح الأمة في صلاح اعمالها وصلاح اعمالها في صحة علومها وصحة علومها ان يكون رجالها امناء فيما يرون او يصفون، فمن تحدث بالعلم بغيرأمانة فقد مس العلم بقرحة واعاق سبيل فلاح الامة.

واذا كانت فعلا الامانة في العلم منبع حياة الامم واساس عظمتها زيادة على انها الخصلة التي تكسب صاحبها وقارا واجلالا كان حقا علينا ان نعطف على تنشئتنا من طلاب العلم ونتخذ كل وسيلة الى ان نخرجهم أمناء فيما يرون او يصفون وذلك ان نتحرى في دروسنا الامانة فيما نروي ولا نجيب سؤالهم الا بما ندري وكل هذه الخصال الحميدة هي اساس التربية الصحيحة والسليمة حيث يرى الخضر حسين بانه لم يئن للذين امنوا ان تكون لهم اذان صاغية وقلوب واعية فيستجيب الله الى رسوله اذا دعاهم لما واذا تشبعت عقولهم بأنوار الموعظة الحسنة وارشاداته الصحيح وارتبط بالعمل بعه ارتباطا يهين كيد المردة عن نقص عراه، حتى اذا رسخ في اذواقهم طعم شجرته المباركة، فاستقذروا ما ترميه افواه الذين اتبعوا هل المدينة الحديثة المصدفين بأغلال التقليد لهم في كل مثال جديد.

وعليه فالخضر حسين يرى ان حياة الامة بتعاضد افرادها على صيانة سياجها المدني من الاضمحلال وتدعيم اصوله بيد الاتقان والاختراع، فحياة الامة بنهوض ابنائها الى قرع ابواب التقدم رغما عن انوف اللذين يئسوا منه ورضو بان يكونوا مع الخوالف، واطفقوا يدسون في كل مهجة سم الذل والخور بعد افراغها من نخوة العزة والشهامة وحياة الامة بانصراف وجهائها الى توفية المصالح العامة حقها وايثارها على مصالحهم الخاصة، وان كانت لكبيرة الا على اللذين هدوا الله، فحياة الامة بتحمل كل طائفة منها حظا عظيما من وسائل لوازمها البدنية والعقلية سد كل ثلمة من الحجات.[2]

---

[1]_علي الرضا الحسيني: **من اقوال الامام محمد الخضر حسين**، مرجع سابق،ص 112.

[2]_علي الرضا الحسيني: **الدعوة إلى الاصلاح للإمام محمد الخضر حسين**، الحسنية للكتاب، تونس، 1994، ص73.

انظر الى :1)http :www.afkaronline.org.arabic/.archic/.archives.php.28.04.2013

فالخضر حسين وفكره الإصلاحي في الجانب الثقافي تعددت فإصلاحه للغة العربية وتهذيبها من خلال القياس في اللغة العربية ومعالجته للعديد من المواضيع الاجتماعية والثقافية من قول الشعر ونبوغه في فصاحته والذي زاده متعة في تذوقها وايضا حاول تثقيف المجتمع من خلال مبادئ الدين الاسلامي وحثه على الاخلاق والشهامة والعزة والتعامل والتواضع والصدق وكل افكار الخضر حسين مستمدة من وحي الشريعة الاسلامية.[1]

[1] علي الرضا الحسيني: **مرجع سابق** ،ص74

2) http :www.islamweb.neth/.vearchiver/.php.25.04.2013: انظر الى

خاتمة

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولت علم من اعلام منطقة الزيبان "العلامة الخضر حسين وفكره الإصلاحي" الى :

- تعريف الشباب المسلم بعظمة الرجال الذين يترجم لهم حتى ان الشيخ الخضر حسين عندما ترجم الى ائمة البيت "الامام زين العابدين فيقول " هذه صفحة من سيرة رجال عظماء ال البيت نعرها على حضرتكم وسيرة العظماء اسوة للأولي الالباب"
- وايضا سيرة العظماء عبرة لمن يريد ان يكون عظيما في علمه او في شرفه وسمو همته او في المسارعة الى عمل الخير ما استطاع.
- ومن الاسباب التي جعلت شبابنا يسرفون في اكبار رجال اوروبا لأنهم لم يدرسوا تاريخ علمائهم بعناية وروية وانصافا.

ولقد واجه الخضر حسين السياسة الاستعمارية الفرنسية من خلال فكرة الاصلاحي لحال ابناء امته وتنوير عقولهم وحثهم على الجهاد ضد القوة الكافرة التي انتهكت الدين والعرض وارادت تغير معالم المجتمع لما حملت من عادات وتقاليد بعيدة كل البعد عن قيم الجزائريين وقناعتهم وبالنظر الى دراسة العلامة الخضر حسين وفكره الاصلاحي يمكن الوصول الى النتائج التالية:

- يعد الامام محمد الخضر حسين مفكرا مغربيا اسلاميا ووطنيا مكافحا ومصلحا فذا فكل هذه الصفات كان من عمادها وينتمي اليها وعمل لها بإخلاص فقد اودع الله سبحانه وتعالى فيه من المواهب المتعددة التي قلما نجدها في عالم من علماء الاسلام فيقول على الرضا الحسيني فيه :

في كل اصقاع البلاد مآثر *** تنبيك شموسة لا تغرب

في دومة التقوى وفي افنانها *** يسقي من العلم الرفيع ويشرب

- من الصفحات المشرقة والمشرفة في حياة الامام دعوته لتنظيم جاليات المغرب العربي المقيمة بالقاهرة في جبهة واحدة غايتها الدفاع عن شعوب شمال افريقيا (تونس، الجزائر، المغرب، ليبيا).
- من الصفحات المشرقة للخضر حسين عضويته في جماعة كبار العلماء بمصر حتى ان الشيخ اللبان الذي كان من اعضاء لجنة الممتحنين بمصر صاح اعجابا به قائلا: هذا بحر لا ساحل له فكيف نقف معه في حجاج.

- العلامة الخضر حسين موسوعة فهو سهم وافر، وقد جاهد في سبيل الله بقلمه ولسانه ونفسه ، جاءته مشيخة الازهر تسعى اليه بنفسها ، دون ان يطلب هذا المركز يوما، وافته مشيخة الازهر اعترافا بفضله العميم وعلمه الغزير وسيرته التقية التي عدت مضرب الامثال في التقوى والنضال والدعوة. لم تكن لديه عشيرة في القاهرة سندا له ولا حزبا يدافع عنه ولا اخ يشد ازره ولا ولد يرفع عن كاهله عبء الحياة لكن الله سبحانه وتعالى كان معه ومن كان الله معه بلغ افضى مراتب السوء.
- الشيخ من العلماء الفقهاء والادباء البلغاء من الرعية الاول الذي اسهم في الحركة الفكرية بنصيب وافر وترك للمكتبة العربية زادا ثريا ومشاركة بارزة في عالم الفكر واللغة والآداب والترسيل.
- كان الخضر حسين دورا كبيرا في تطوير الصحافة بالوطن العربي خاصة بتونس والجزائر واعتقد ان الشيخ الخضر حسين نموذج لسفير الاعلامي الجزائري لدوره الفعال في اصدار العديد من المجالات والكتابات لقناعته الراسخة بدور الصحافة في مجال الاصلاح والتهذيب والتربية.

ومهما قلنا عن العلامة الخضر حسين فإننا لن نوفيه قدره في صفحات هذه المذكرة.

والان امتنا العربية الاسلامية في هذه المرحلة تواجه تحديات خطيرة على المستوى الداخلي والخارجي:

فالتحديات الخارجية: تتمثل في عودة الحركة الاستعمارية بصورة مباشرة او غير مباشرة ومحاولة الهيمنة على مقدرات امتنا وطاقاتها وامكاناتها وتشمل بالخصوص في الهجمة الشرسة والعنيفة والتواصلية على حضارتنا وديننا الاسلامي الحنيف.

هذه الهجمة الشرسة شارك فيها الفاتيكان الحالي وابرز مساعديه اضافة الى العديد من الفلاسفة والمفكرين والاعلاميين الغربيين المتعصبين.

اما التحديات الداخلية: فتتمثل في جوانب عديدة منها بروز ظواهر التطرف والارهاب والعنف والتي تقوم بها مجموعة باسم الاسلام مما جعل اعداء ديننا الحنيف وخصومه يستغلون هذه الممارسات في هجومهم على حضارتنا العربية الاسلامية ومحاولاتهم المستمرة لتهميشها وتزييف تاريخها ودورها في الحضارة الانسانية.

ومن المعلوم ان مواجهة التحديات الداخلية والخارجية لا يمكن ان تنجح وتحقق النتائج المطلوبة الا بتقوية الذات الوطنية والحضارية من الداخل الفردي والداخل الجماعي.

ومن المعلوم ايضا ان تقوية الذات هذه ستحتم استخدام الوسائل والاساليب وفي مقدمتها من الناحية الانسانية احياء الجذور التاريخية لهذه الذات واحراز عمقها وترسيخها لان الكائن الحي اي كان هذا الكائن ينمو ذاته ويقوي كلما كانت له جذور ضاربة في الارض وفي التاريخ.

وفي الاخير يمكنني القول ان العلامة الخضر حسين شعلة لا تنطفي في تاريخ اعلام منطقة بسكرة ويبقى فكره الاصلاحي نورا يهتدي به الاجيال.

الملاحق

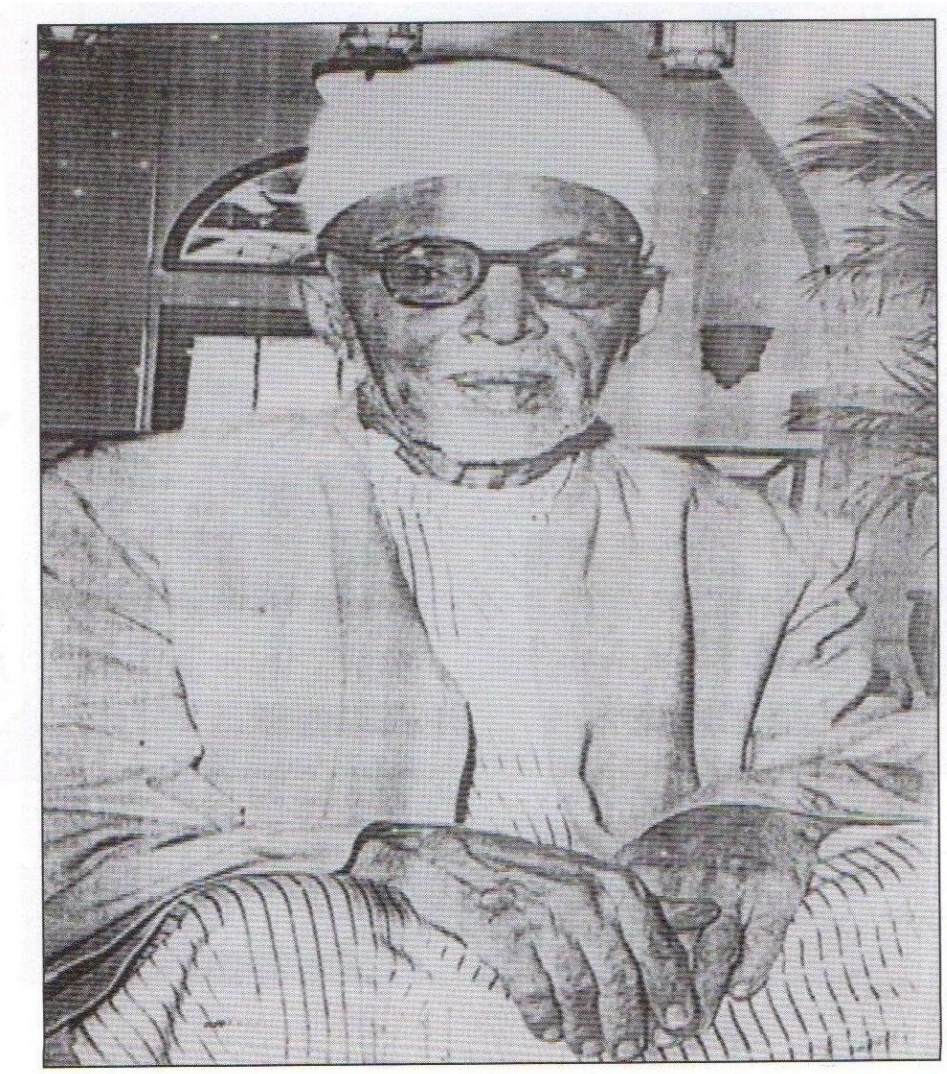

صورة الشيخ الخضر حسين
شيخ الأزهر

الملحق رقم 01 :صورة للامام محمد الخضر حسين مأخوذة من مجلة الجمعية الخلدونية للابحاث والدراسات التاريخية ،ص 135.

اليومي
الشروق
إخبارية وطنية
■ الإثنين 24 ديسمبر 2007م ■ الموافق لـ 15 ذي الحجة 1428 هـ ■ العدد 2180 ■ الجزائر : 10 دج ■ فرنسا 1€
رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأيكم خطأ يحتمل الصواب

بحضور عدة مشايخ أزهريين
بسكرة تتذكر شيخ الأزهر الجزائري محمد الخضر حسين

يتناول ملتقى "بسكرة عبر التاريخ" في طبعته السادسة، شخصية العلامة محمد الخضر حسين، أحد أبرز العلماء الذين أنجبتهم بسكرة لخدمة الوطن والدين.

ويرجع الفضل في تنظيم هذه التظاهرة الثقافية العلمية الدينية إلى الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية وولاية بسكرة، حيث من المقرر أن تفتتح فعالياتها التي ترعاها وزيرة الثقافة يوم الثلاثاء المقبل على أن تدوم يومين كاملين بمشاركة دكاترة وأساتذة من داخل وخارج الوطن كالدكتور مجاهد توفيق الجندي من مصر الذي سيحاضر حول حياة العلامة ومشيخته لجامع الأزهر والأستاذ علي الرضا الحسيني من سوريا الذي سيشارك بومضات حول حياة الشيخ محمد الخضر حسين.

والأستاذ محمد مواعدة من تونس الذي سيركز حول حياة العلامة بالبلد المذكور والدكتور محمد الهادي الحسيني الذي سيتناول شخصية العلامة مصلحا، في حين سيركز الدكتور أبو القاسم سعد الله حول مؤلفات الشيخ محمد الخضر حسين بالإضافة إلى مداخلات أخرى حول الشيخ المعروف باسم الطولقي.

ولد العلامة محمد الخضر حسين عام 1873 بمدينة نفطة التونسية، والده الشيخ حسين بن علي بن عمر مؤسس الزاوية العثمانية بطولقة.

■ ح. عماري

الملحق رقم 02 :مقال مأخوذة من مجلة الجمعية الخلدونية للابحاث والدراسات التاريخية،ع8 ،الجزائر ،ص 269.

الملحق رقم 03 :مقال مأخوذ من مجلة الجمعية الخلدونية للابحاث والدراسات التاريخية،ع 8، الجزائر ،ص 279.

النهار الجديد

بومية إخبارية وطنية

ENNAHAR EL DJADID

الأحد 23 ديسمبر 2007 الموافق لـ 14 ذي الحجة 1428 - العدد 43 - السعر 10 دج

من تنظيم الخلدونية ببسكرة
شيخ الأزهر محمد الخضر حسين الطولقي في ملتقى

تحتضن قاعة المداولات بمقر ولاية بسكرة هذا الثلاثاء، الموافق للخامس والعشرين من الشهر الجاري الإفتتاح الرسمي للملتقى الوطني السادس (بسكرة عبر التاريخ) والذي دأبت الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية على تنظيمه كل سنة. هذا وقد إختارت الخلدونية تناول شخصية العلامة محمد الخضر حسين الطولقي الجزائري خلال ملتقاها هذا الذي سيدوم أربعة أيام، ومنتظر حسب رئيس الجمعية الأستاذ فوزي مصمودي أن يلقي نحو 20 محاضرا قدموا من دول شقيقة كسوريا، مصر، تونس، وجامعات جزائرية مختلفة محاضرات تتعلق بالشخصية التي لم تلق الإهتمام الذي يليق بها، وظلت طي النسيان أو التناسي، ومعروف أن العلامة محمد الخضر حسين الطولقي الذي ولد سنة 1873 بنفطة بتونس كان شيخا للأزهر الشريف من سنة 1952 إلى سنة 1954. وله أكثر من 40 كتابا، بعضها في الشريعة، والبعض في اللغة والأدب، وكان له الفضل في إصدار أول مجلة في تونس والمعنونة بـ "السعادة العظمى" سنة 1904. بالإضافة إلى العديد من المجلات بجمهورية مصر العربية. كما ترأس لجنة تحرير شمال إفريقيا والمغرب العربي من الإحتلال. هذا ويجمع المؤرخون إلى أن الشيخ كان عالما مصلحا إلى أن وافته المنية سنة 1958 بتونس. وتعود أصول العلامة محمد الخضر حسين إلى الزاوية العثمانية بطولقة، فيما ترجع جدته لأمه إلى بلدية برج بن عزوز.

يونس.ر

الملحق رقم 04 :

مقال مأخوذ من مجلة الجمعية الخلدونية للابحاث والدراسات التاريخية،ع 8،الجزائر ،ص2720.

الملحق رقم 05 :صورة للامام محمد الخضر حسين مع وفد من العلماء التونسيين، مأخوذة من مجلة الجمعية الخلدونية للابحاث والدراسات التاريخية، ع8 ،الجزائر ،ص 38.

الحدود الجغرافية للزيبان 1844

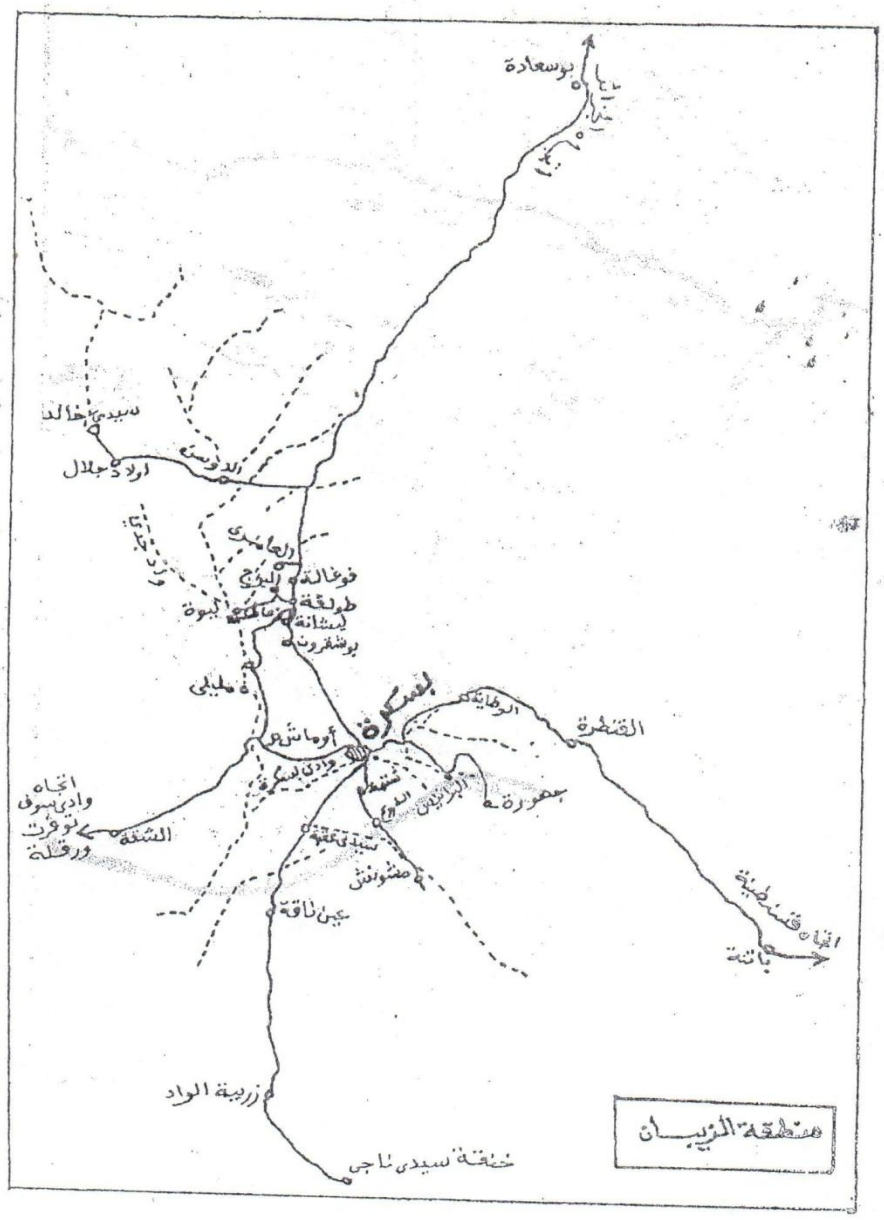

الملحق رقم 06 :

براهيم مياسي: الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة ، الجزائر ،2005، ص 616..

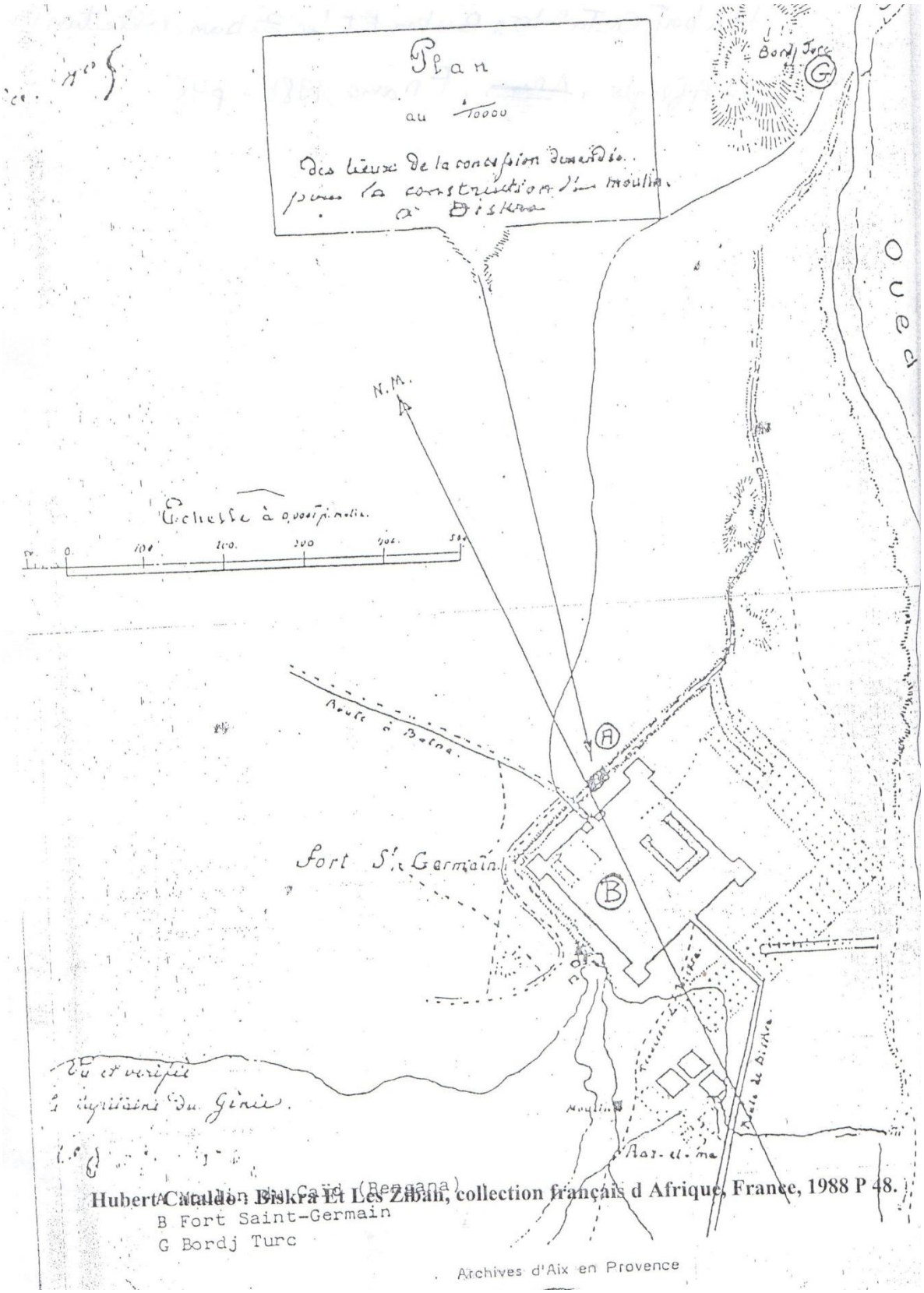

Hubert Caulder: Biskra Et Les Zibân, collection français d Afrique, France, 1988 P 48.

B Fort Saint-Germain

G Bordj Turc

الملحق رقم 07 : الحدود الجغرافية لمنطقة الزيبان

مخطط مدينة بسكرة في 25أكتوبر1852.

Plan de Biskra.

en date du 25 Octobre 1852

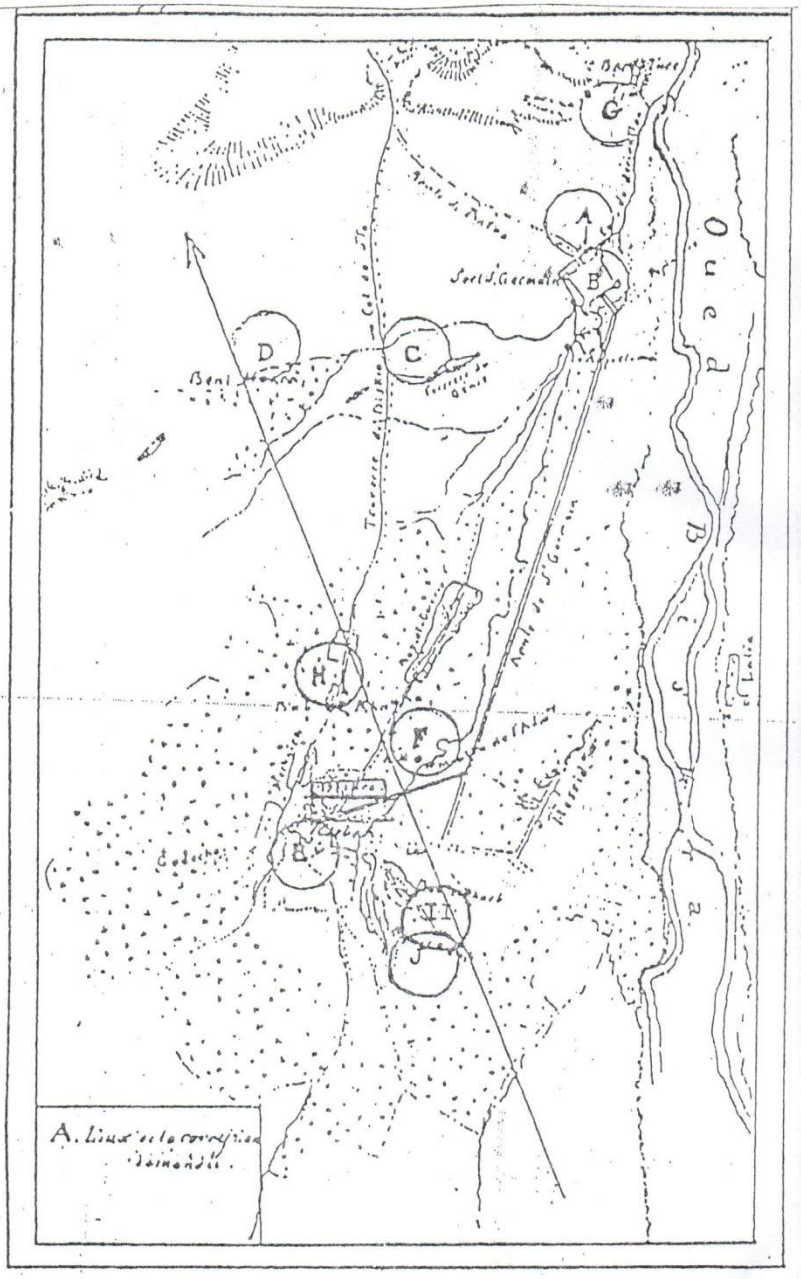

Hubert Cataldo : Biskra Et Les Ziban, collection français d Afrique, France, 1988 .P47.

الملحق رقم 08 : مخطط مدينة بسكرة 25 اكتوبر1825

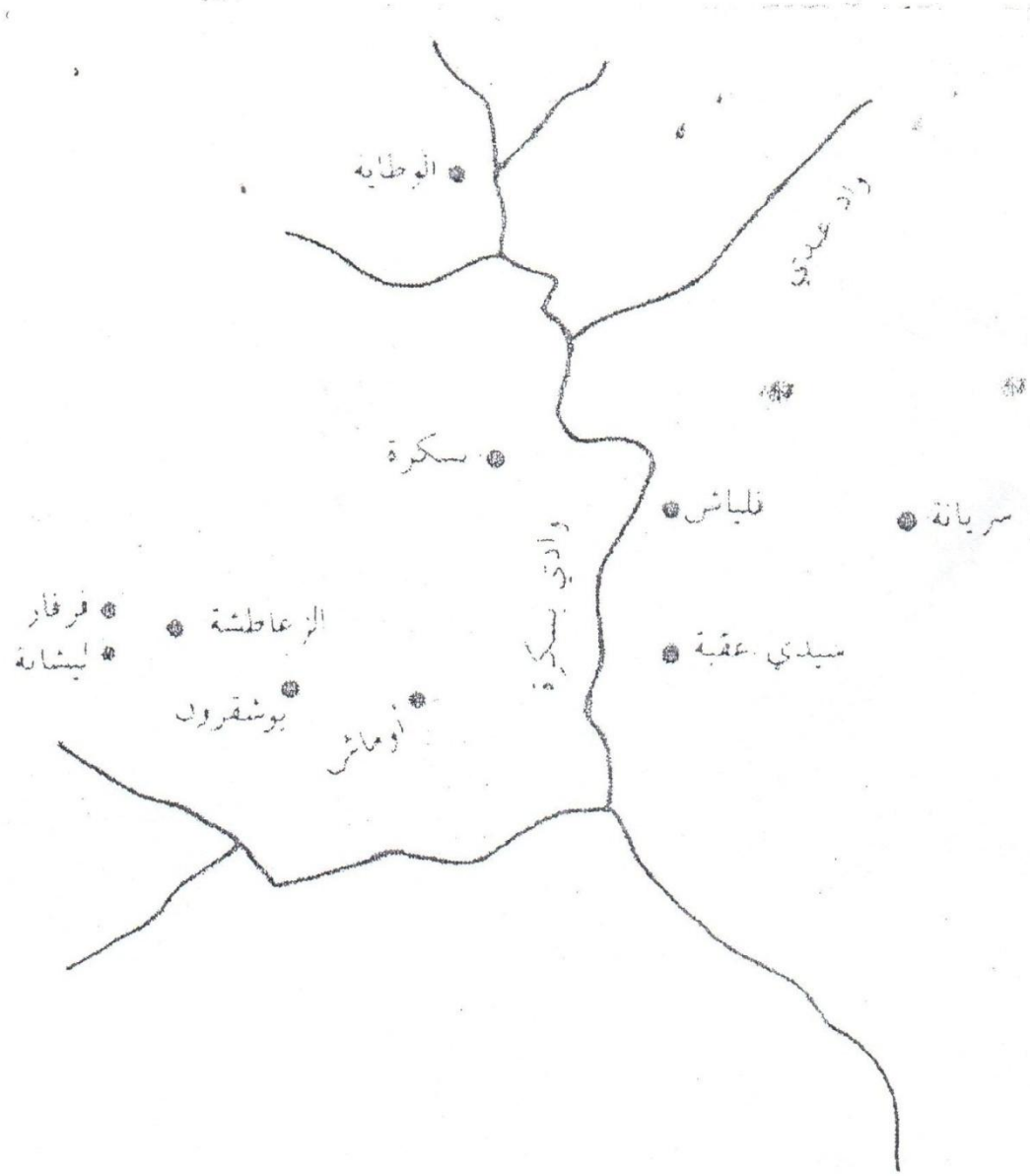

خريطة إيضاحية لمنطقة الزيبان

بورنان سعيد:شخصيات بارزة في كفاح الجزائر(1830،1962)، ج1،ط2، دار الأمل، الجزائر ، 2004.

الملحق رقم 09 : خريطة ايضاحية لمنطقة الزيبان

قائمة المراجع

قائمة المراجع

1_أرشيف ا لزاوية العثمانية .

2_أرشيف زاوية برج بن عزوز.

المراجع

بالعربية

_1أبو القاسم محمد كروا: أعلامنا محمد الخضر حسين شيخ الأزهر، ،دراسة مختارات، ط1، دار المغرب العربي، تونس،1973.

2_ الإفريقي ليون: وصف افريقيا، ج2،دارالغرب الإسلامي ، بيروت،1983.

3_بوذينة محمد: محمد الخضر حسين ،حياته واثاره واعماله ،،ط2،دار النوادر،سوريا،2010.

4_الفاسى علال: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي (د، د، ن) ، القاهرة ،1948.

5_خير الدين محمد: مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب،(ب،ت،ط).

6_محمد مواعدة: الخضر حسين حياته واثاره، الدار الحسنية للكتاب ، تونس، 1974.

7_محمد عمارة : شخصيات لها تاريخ،ط1،دار السلام، مركز الراية لتنمية الفكرية ، الجزائر ،2003.

8–محمد السعيد رمضان البوطى من الفكر والقلب (فصول من النقد فى العلوم والاجتماع والأدب)، دار الهدى ، عبن مليلة ،الجزائر، 1990.

9_محمد رجب البيومى :محمد الخضر حسين وأثاره العلمية ،كتابات النهضة الإسلامية فى سيرة أعلامنا المعاصرين، ط1،الدار الشامية ، بيروت، 1995.

10_محمد النجار: المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين، مجلة مجمع اللغة العربية ،ع1963،14.

11_محمد بهجة البيطار : دراسات في اللغة العربية وتاريخها للإمام محمد الخضر حسين ، ط2، المكتب الإسلامي ، دمشق ،1960.

12_مياسى براهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،(1837.1934)، دار هومة ،الجزائر ،2005.

13_عبد الباقى مفتاح: أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية ، الوليد، كونين، الوادى،الجزائر،2003.

14_على الرضا الحسينى :موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين شيخ الأزهر وعلامة بلاد المغرب،م1،دار النوادر، سوريا ، 2010.

15_على الرضا الحسينى :كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين وعلامة بلاد المغرب ،م2،دار النوادر،سوريا،210.

16_على الرضا الحسينى :موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين وعلامة بلاد المغرب ،م2، دار النوادر ،سوريا ، 2010.

17_على الرضا الحسينى : موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين وعلامة بلاد المغرب، م15، دار النوادر ،سوريا ،2010.
18_على الرضا الحسينى : موسوعة الأ عمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين وعلامة بلاد المغرب ،م3،دار النوادر ، سوريا ، 2010.
19_على الرضا الحسينى : الدعوة الإصلاح للإمام محمد الخضر حسين، الدار الحسنية ، تونس ،1994.
20_على الرضا الحسينى : الحرية فى الإسلام للإمام محمد الخضر حسين ، الدار الحسينية للكتاب،تونس، 1994.
21_على الرضا الحسينى :القياس فى اللغة العربية للإمام محمد الخضر حسين ، الدار الحسنية للكتاب ،تونس ،1994.
22_على الرضا الحسينى :حياة اللغة العربية للإمام محمد الخضر حسين ، الدار الحسنية للكتاب ــ تونس،1994.
23_على الرضا الحسينى :المغنى عن الحفظ والكتاب لشيخ الإمام الفقيه الحافظ الناقد، الدار الحسنية للكتاب، تونس ،1997.

24_على الرضا الحسينى : من اقوال الإمام محمد الخضر حسين ، الدار الحسنية للكتاب ، تونس ، 1997.
25_على الرضا الحسينى :أحاديث فى رحاب الأزهر للإمام محمد الخضر حسين ، الدار الحسنية ، للكتاب، تونس ،1994.
26_على الرضا الحسينى : مجلة السعادة العظمى ، للإمام محمد الخضر حسين، التونسية لتثقيف والترفيه،تونس،1950.
27_على الرضا الحسينى :مجلة الهداية الإسلامية للإمام محمد الخضر حسين ، المطبعة السلفية ، مصر ،2001.
28_على الرضا الحسينى : دراسات في الشريعة الإسلامية للإمام محمد الخضر حسين ، الدار الحسنية ،تونس ن1994.
29_على الرضا الحسينى :الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، الدار الحسنية للكتاب ،تونس ،1994.
30_خمار بلقاسم :عرض مختصر عن حياة الشيخ الخضر بن الحسين، دار النوادر ،سوريا ،2010.
31_فركوس صالح: الحاج أحمد باي(1826_1850) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1998.

32_إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر فى ضوء شرق البلاد(1844_1871)،منشورات جامعة باجى مختار ، الجزائر ،2006.

33_فوزى مصمودى :أعلام من بسكرة ، الجمعية الخلد ونية للأبحاث والدراسات التاريخية ،بسكرة ،2001.

34_فوزى مصمودى :تاريخ الحافة والصحفيين فى بسكرة و إقليمها من1900 الى 1956، الجمعية الخلد ونية ، دار الهدى ، الجزائر ،2006.

35_محمد الفاضل من عاشور :الحركة الأدبية والفكرية ، الدار التونسية ،1983.

الأجنبية :

1) Hubert cataldo :biskra et.lesziban. collection francais da afrique.franse.1988.

2)gean dubois.(et autres) :dictionnair de linguistisque.librairie larousse.paris.1973.pp96.99.(communication)et p216.fonction et p314.(message).

3)feraud(ch) :notes hostrique sur la provinced constanstine les ben dgellab sultans ra_23.alger.1879

الملتقيات :

1_الجمعية الخلد ونية للأبحاث والدراسات التاريخية ، الملتقى الوطني السابع (بسكرة عبر التاريخ)، العلامة محمد الخضر حسين الطولقى ، دارالهدى ، الجزائر ، 2010.

2_لد خليفة محمد العربى : مؤسسة الزاوية ، خزان المقاومة وحصن العقيدة والتراث ، الملتقى الأول والثاني حول دور الزوايا ابان المقاومة والثورة التحريرية ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ،2007

المقالات :

1_عمار طالبى :الشيخ العلامة محمد الخضر حسين ومنهجه فى التراجم ، مجلة الجمعية الخلد ونية للأبحاث والدراسات التاريخية ،ع8، دار الهدى ، الجزائر ، 2010.

2_محمد الأمين بلغيث :العلامة شيخ الأزهر محمد الخضر حسين واهتماماته المغاربية ، مجلة الجمعية الخلد ونية للأبحاث التاريخية ،ع8،دار الهدى ، الجزائر ،2010.

3_فوزى مصمودى : العلامة الخضر حسين صحفيا ،مجلة الجمعية الخلد ونية للأبحاث والدراسات التاريخية ، ع8، دار الهدى ، الجزائر ،2010.

4_يوسف غليسى :رسائل العلامة الخضر حسين قراءت التواصل اللغوي و وضائفه ، الجمعية الخلد ونية للأبحاث والدراسات التاريخية ،ع8.، الجزائر ،. 2010.

5_على الرضا الحسينى : ومضات من حياة الإمام العلامة الخضر حسين ، الجمعية الخلد ونية للأبحاث والدراسات التاريخية ،ع7، الجزائر ، 2010.

6_محمد مواعدة :العلامة الخضر حسين وحياته فى تونس ،الجمعية الخلد ونية للأبحاث والدراسات التاريخية ،ع7،الجزائر ،2010.

المذكرات

1_معاذ عمرانى :أسرة بنى جلاب فى منطقة واد ريغ خلال القرنين 19و20، دراسة سيا سية وإجتماعية ، رسالة ماجستير ، التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الأمير عبد القادر ،الجزائر ،2003.

2_شلبى شهرزاد: ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان فى القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير فى التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة باتنة ،2008/2009.

الصحف

_الشروق اليومى :ع2185، ديسمبر 2007.

_النهار اليومى :ع43، ديسمبر 2007.

_ االبصائر : ع372،ديسمبر 2007.

المواقع الإلكترونية
1)http :www.islamweb.neth/.vearchiver/.php.25.04.2013.
على الساعة 14:00 زوالا.
2)http :www.afkaronline.org.arabic/.archic/.archives.php.28.04.2013

على الساعة 10:00 صباحا

فهرس المحتويات :

العنوان	الصفحة
فهرس المحتويات	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول :أوضاع منطقة الزيبان و نفطة التونسية قبل ميلاده	
المبحث الأول: أوضاع منطقة الزيبان قبل ميلاده.	2
المطلب الأول : الجانب الجغرافي لمنطقة الزيبان	2
المطلب الثاني : العائلة العزوزية والشيخ مصطفى بن عزوز	6
المبحث الثاني: أوضاع منطقة نفطة التونسية قبل ميلاده	8
المطلب الأول : أوضاع الأسرة العزوزية في نفطة	8
المطلب الثاني : الشيخ بن عزوز وثورة ابن غذاهم	9
الفصل الثاني :مراحل حياة العلامة محمد الخضر حسين	
المبحث الأول: المرحلة التونسية	12

المطلب الأول : اسمه ونسبه	12
المطلب الثاني : مولده ونشأته	13
المطلب الثالث : التحاقه بجامع الزيتونة في مدينة تونس	14
المبحث الثاني : المرحلة السورية	19
المبحث الثالث : المرحلة المصرية	25
المطلب الأول : أيامه الأولى بالقاهرة	25
المطلب الثاني : معاركه الفكرية والعلمية	27
المطلب الثالث : وفاة الشيخ	29
المطلب الرابع : مؤلفاته وأبرز آثاره	29
الفصل الثالث :الخضر حسين وفكره الإصلاحي	
المبحث الأول: في الميدان السياسي	37
المبحث الثاني: في الميدان الاجتماعي.	42
المبحث الثالث: في الميدان الثقافي.	46
خـــــاتمة	52